ساحر الكتب

إبراهيم السعيد

زهرة الموت

زهرة الموت

إبراهيم السعيد

لتحويلك إلى الجروب أضغط هنا

لتحويلك إلى الموقع أضغط هنا

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية
انضموا لجروب ساحر الكتب

او زيارة موقعنا sa7eralkutub.com

زهرة الموت

إبراهيم السعيد

تصميم الغـلاف: محمد أبو الهنا

ورشـة التحـرير: محمد الدواخلي ~ هبة النجار

التدقيق اللغـوي: هبة النجار

الإخراج الداخلي: إسـلام علي

رقـم الإيـداع: 2018/25310

الترقيـم الدولـي: 978-977-6695-00-9

مدير النشـر: محمد الدواخلي

المدير الفنـي: إسـلام علي

المدير التنفيذي: إبراهيم السعيد

المدير العـام: محمد مجدي أبو الهنا

دار فانتازيون للنشر

facebook.com/FantasiansPub

Fantasians4@gmail.com

002-01094461896

للتوزيع في مصر والوطن العربي: 002-01016641170

صفحة رابطة فانتازيون: facebook.com/Fantasians

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفين ودار فانتازيون للنشر والتوزيع، وأي اقتباس أو تقليد أو إعادة طبع أو نشـر أي جزء من هذا العمل، سواء إلكترونيًا أو فوتوغرافيًا أو أي شكل آخر دون تصـريح كتابي موثق من الناشر، يعرض مرتكبه للمساءلة القانونية.

زهرة الموت

إبراهيم السعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

تطلع (طارق) إلى اللافتة الصغيرة التي تحمل اسم (مكتب (يارا) للتحقيقات الخاصة)، ثم دفع الباب وخطا للداخل. كان المكتب في حالة فوضى تامة، ولا يوجد أحد في الاستقبال، فسار نحو الغرفة الوحيدة المضاءة، والتي تحمل اسم (يارا) على بابها، فكر في التراجع، ولكنه أقنع نفسه بالمضي قدمًا؛ إنها تقول أن لديها معلومات هامة عن القضية، فليرى ما لديها. طرق الباب مرتين، فجاءه صوتها يطلب منه الدخول، دفع الباب ودخل، فوجدها تجلس خلف مكتب قديم.

لشد ما تغيرت، يمكنه أن يقسم أنها قد أصبحت شخصًا آخر مختلفًا تمامًا عمن كان يعرفه، نهضت من مقعدها قائلة:

ـ «(طارق)، لقد وصلت في زمن قياسي، كيف حالك؟»

ـ «أنا بخير»

جلس على مقعد أمام مكتبها، سارت من خلف المكتب وجلست على مقعد مقابل له قائلة:

ـ «كيف العمل؟»

ـ «بخير»

قالها وصمت لحظة، ثم قال:

ـ «ما هي المعلومات التي لديك عن قضية الأميرة؟»

قالت (يارا):

ـ «(طارق)، (طارق)، (طارق)، هل هكذا تعامل صديقة قديمة؟ يمكنني أن أقول (صديقة) أليس كذلك؟ ألن تسألني عن حالي أولا!؟»

ـ «أنت تعلمين لماذا أنا هنا؛ أنا لست هنا للحديث، أخبريني بما لديك»

قالت (يارا):

ـ «حسنًا، مازلتَ عمليًا كعهدي بك. سأخبرك بكل شيء، ولكن فلتشرب شيئًا أولًا»

قالتها وضغطت على زر الاستدعاء على مكتبها، ولكنها لم تتلقَ ردًا، قال (طارق):

ـ «لا يوجد أحد في الخارج»

قالت (يارا):

ـ «سكرتيرتي اللعينة، تظن أن تأخري في دفع راتبها يعطيها الحق في مغادرة العمل وقتما تشاء»

قالتها ونهضت مُكلمة:

ـ «دعني أعد لك مشروبك بنفسي»

أشار (طارق) بيده قائلًا:

ـ «لا أريد شيئًا، ولا داعي لإضاعة المزيد من الوقت، أخبريني بالمعلومات التي لديك»

جلست (يارا)، وتطلعت إلى عينيه للحظات، ثم قالت:

ـ «الحقيقة أنني لا أملك أية معلومات عن القضية. لقد قتلتُ القضية بحثًا، ولكنني لم أتمكن من الوصول إلى أي شي. ذلك الرجل شبح بالمعني الحرفي للكلمة»

نهض (طارق) من مكانه قائلًا:

ـ «هل استدعيتني، وجعلتني أترك فريق البحث لتخبريني بهذا الكلام!؟»

ـ «حقيقة وجودك هنا تعني أن فريق البحث ليس أفضل حالًا مني»

سار (طارق) نحو الباب قائلًا:

ـ «لقد كنتُ مخطئًا بقدومي إلى هنا»

قالت (يارا):

ـ «صحيح أنه ليست لدي أية معلومات عن القاتل، ولكنني أعرف طريقة للوصول إليه»

توقف (طارق) في مكانه، ثم عاد إلى مقعده قائلًا:

ـ «أخبريني بما لديك»

وصمت لحظة، ثم أكمل:

ـ «ودون مقدمات هذه المرة»

تطلعت (يارا) إلى عينيه قائلة:

ـ «أريدك أن تستمع إلى ما أقوله جيدًا، وتفكر قبل أن تتصرف؛ إننا نتحدث عن أهم قضية في المملكة، بل ربما في العالم كله، إننا نتحدث عن

الأميرة اللعينة...»

قاطعها (طارق) قائلًا:

ـ «أخبرتك أن تتحدثي دون مقدمات»

أخذت (يارا) نفسًا عميقًا، ثم قالت:

ـ «نكرومانسر»

ـ «ماذا؟»

ـ «إنه عبارة عن سحر استجواب الموتى...»

قاطعها (طارق) قائلًا:

ـ «أنا أعرف ما هو النكرومانسر، ولكن ما علاقة هذا بقضية الأميرة؟»

ـ «فكر في الأمر، من هم الأشخاص الوحيدون الذين رأوا قاتل الزهرة الحمراء؟ إنهم ضحاياه، رأوه قبل أن يقتلهم، سيقوم النكرومانسر باستخلاص تلك المعلومات منهم...»

قاطعها (طارق) قائلًا:

ـ «أيتها المجنونة، هل تعقلين ما تتحدثين؟ إنك تتحدثين عن أساطير خرافية!»

ـ «ليست أساطير، النكرومانسي حقيقي، وأعرف أحد ممارسيه»

ـ «حتى لو كان حقيقيًا، هل تدركين ما الذي تتحدثين عنه؟ إنك تتحدثين عن أكل أجساد الموتى، أكل أجساد الموتى! هل يبدو هذا أمرًا طبيعيًا لك؟ يبدو أن البعد عن الشهرة والأضواء قد أفسد عقلك تمامًا»

قالت (يارا):

ـ «أنا أعرف أنه ليس أمرًا طبيعيًا، ولكن استمع إليّ جيدًا، هذا هو الحل الوحيد؛ لقد فحصت القضية عشرات المرات، هذا القاتل اللعين لم يترك أي أثر، لا يمكن لأي شخص الوصول إليه، لا أنا ولا أنت، ولا كل أجهزة الدولة، ما أحدثك عنه هو الطريقة الوحيدة، وعدم استخدامها يعني تركك الأميرة تلاقي مصيرها»

نهض (طارق) من مقعده قائلًا:

ـ «سأجد حلًا آخر، وحتى لو لم أفعل كما تقولين، فليكن، فلتواجه مصيرها...»

قاطعته (يارا) قائلة:

ـ «أنت لم تفهم بعد أليس كذلك؟ هذه ليست مجرد قضية تحلها أو لا تحلها، هذه هي القضية، القضية التي لا تعود حياتك بعدها أبدًا كما كانت، فإما أن تحلها وتصير نجمًا، أو تفشل فتصير ملعونًا، لن يذكر أحد اسمك أو ما فعلته؛ كل ما سيذكرونه أنك أنت الرجل الذي قتل الأميرة. لن يلوموا القاتل، بل ذاك سيشتهر، وتؤلف عنه الكتب، ويحصل على فيلمه الخاص، أما أنت الرجل الذي قتل الأميرة فستصبح منبوذًا من الجميع، ستخسر حياتك، وعملك وأسرتك، ستكون محظوظًا لو وجدت علبة أحذية داخل أسوأ ثقب من الجحيم لتقضي فيها آخر أيام حياتك، قبل أن تموت بجرعة مخدرات زائدة.

توقف (طارق) مكانه للحظات، ثم قال:

ـ «ربما تكونين محقة»

قاطعته (يارا) قائلة:

ـ «أنا محقة»

ـ «حسنًا، أنت محقة، ولكنني لن أفعلها، لن أقوم بأكل جثث الموتى لبناء مجدي الخاص»

قالها واستدار منصرفًا، فقالت (يارا):

ـ «ستعود يا (طارق)، ستعود»

2

«لقد جنت (يارا) حتمًا؛ لا يمكن أن يخرج هذا التفكير من شخص عاقل. نكرومانسر! ما هذا الجنون!؟»

تصارعت الأفكار في رأس (طارق)، وهو يقود سيارته عائدًا إلى الوحدة (بي-6). كان غارقًا في العمل مع الفريق، يفحص ملفات القضية مرة بعد مرة لإيجاد طرف خيط يصلهم للزهرة الحمراء، عندما جاءه اتصال (يارا):

ـ «لدي معلومات هامة تخص قضية الأميرة»

ـ «ماذا؟»

جاءه صوتها يكرر:

ـ «لدي معلومات مهمة تخص قضية الأميرة»

ـ «ماذا؟ ماذا تعرفين؟»

ـ «لا يمكنني التحدث على الهاتف، يجب أن نلتقي»

ـ «أين أنتِ؟ سآتي إليك الآن»

غادر الوحدة وذهب إليها سريعًا، وليته ما ذهب! (إنها تتحدث عن سحر أكل أجساد الموتى، يبدو أن الوحدة والبعد عن الأضواء قد أفسدا عقلها!) هز رأسه ليطرد منها هذه الأفكار، حسنًا لا يجب أن يشغل رأسه بهذا الجنون، يجب أن يركز تفكيره على حل القضية، وإنقاذ الأميرة.

فتح مذياع السيارة، انبعث الصوت منه:

ـ «ما زالت جهود البحث عن الأميرة (سارة) مستمرة.....»

أدار المؤشر لتتغير القناة، ولكن الأخبار ظلت واحدة:

«قاتل الزهرة الحمراء يضرب من جديد بعد اختفاء ثلاثة أعوام...»

«الأميرة (سارة)...»

«البحث عن الأميرة...»

«الشرطة تطمئن الشعب، وتتعهد ببذل كل جهودها لإنقاذ الأميرة...»

أدار المؤشر:

«الشرطة تعلن تحييد ستة من الإرهابيين التابعين لجماعة (بي_واي 3) الإرهابية شمال البلاد...»

أخيراً محطة لا تتحدث عن الأميرة، ولكن أخبارها لا تسر على أي حال. أدار المؤشر، فجاء الصوت:

«استعداد لزيارة رئيس جمهورية (....) المرتقبة للبلاد في مطلع الشهر القادم»

أغلق المذياع، إنه كما قال صديقه ذات مرة، لا يبث أي شي جيد، غرق في أفكاره مرة ثانية، ولكن هذه المرة ليس عن الزهرة الحمراء، والأميرة المخطوفة، بل عن (يارا). قابلها للمرة الأولى منذ سبع سنوات أثناء حفل تكريمها في أكاديمية الشرطة، تقديراً لمساعدتها في القبض على قاتل متسلسل يدعى (الشبح)، والحقيقة أن (يارا) لم تساعد الشرطة في القبض على القاتل، بل هل التي قامت بكل العمل، بدايةً من إثبات

وجود القاتل، حتى توقُّع خطوته الأخيرة، وتحديد مكانها، ومهاجمته هناك. الشرطة فقط حضرت لاستلام الشخص، وفي النهاية يقولون (مساعدة)!

كانت (يارا) صحفية متدربة في إحدى الصحف الصغيرة التي لا يقرؤها أحد، ولكنها كانت تملك حماسة كبيرة وعقلًا لا يهدأ، ونهمًا شديدًا لمتابعة أخبار الحوادث في مختلف الصحف، وكانت تقوم بالربط بين الحوادث بطرق يراها البعض عبقرية، بينما يراها آخرون مضحكة ساذجة، ولكن هذا لم يوقفها، واستمرت في المتابعة، ورويدًا رويدًا بدأت (يارا) تلاحظ نمطًا معينًا يربط بعض الحوادث التي تبدو متباعدة في مختلف أنحاء المملكة. خمنت (يارا) الأمر، لابد أن هذا من صنع قاتل متسلسل.

جمعت (يارا) أوراقها، وتقدمت ببلاغ للشرطة تخبرهم فيه بشأن القاتل، ولكن أحدًا لم يأخذها بالجدية الكافية، وصرفوها مع وعد كاذب بتحري الأمر، ولكن نتيجةً لإلحاحها الشديد، تم استدعاؤها إلى القسم لمناقشة أوراقها مرة أخرى.

اعتمدت نظرية (يارا) على عدد من الحوادث تتكرر بنمط معين في عدد من المدن المختلفة، تبدأ الدائرة دائمًا بحريق يلتهم عمارة سكنية، ثم حادث سيارة يقضي على مجموعة من الأفراد نتيجة عطل في فرامل السيارة، ثم مقتل زوجين بطريقة وحشية، ثم امرأة تُقتل طعنًا في شارع جانبي صغير، تكررت هذه الحوادث بنفس الترتيب في أربعة مدن، مما يعطي دليلًا قاطعًا على وجود القاتل المتسلسل.

كانت (يارا) تظن أن لديها بناءً محكمًا يراه الكل، ولكن المحقق الذي

ناقشها نسف هذا البناء تمامًا؛ فقد أخبرها أولًا أن تكرر الجرائم لا يعني بالضرورة وجود قاتل متسلسل، وأنها لو بحثت عن أية نوع من الجرائم فستجد أنه يتكرر في مختلف أنحاء البلاد، ربما لو بحثت عن القتل بالرصاص، أو حتى جرائم الاغتصاب مثلًا أو السرقة حتى يظن البعض أنها تتكرر بطريقة منظمة، وأن الجرائم التي ذكرتها لا تتكرر بنمط واحد كما تظن، بل إن هناك فواصل زمنية مختلفة بين الجرائم، بل إنها حتى لا تتكرر بنفس الترتيب الذي تظنه، والذي أخذته من الجرائد؛ فالحقيقة أن بعضها وقع قبل البعض الآخر. ثم ألقى ورقته الأخيرة عندما أخبرها أنه تم القبض على منفذي بعض هذه الجرائم بالفعل، بل إن أحدهم قد اعترف بالفعل بالقتل، ثم نصحها بصرف وقتها في عمل شي مفيد وترك الأمر للمتخصصين، والتقليل من قراءة روايات الجريمة، فقالت (يارا):

ـ «حسنًا، إذا كنتم أنتم أيها الكسالى لن تفعلوا شيئًا فأنا سأفعل!»

فأجابها المحقق:

ـ «حظًا سعيدًا»

خرجت (يارا) من عنده وكلها إصرار على إثبات الأمر، لقد أصبح الأمر مصيريًا بالنسبة لها؛ لم تعد تعتمد على الصحف مثل السباق، بل بدأت تجمع المعلومات بنفسها، وبدأت تزور أماكن الجرائم، وتتحدث مع أقارب الضحايا، ومع كل من له علاقة بالجرائم باستثناء محققي الشرطة، فقد رفضوا التعاون معها إلا القليل جدًا منهم، وكلما تقدمت (يارا) في البحث زاد يقينها بوجود القاتل؛ فقد لاحظت أن التغيير في نمط الجرائم الذي تحدث عنه المحقق يتم بنمط معين، مما يدعم

نظريتها في وجود القاتل، ولا ينفيها كما ظن ذلك الأحمق الكسول، أما عن هذا الذي اعترف بالجريمة فهي واثقة من وجود دافع خفي لذلك. حاولت زيارته في السجن، ولكنها لم تتمكن من ذلك.

مر شهران من البحث، حتى تمكنت أخيراً من كشف النمط الذي يتبعه القاتل، وكيف يختار ضحاياه، واستطاعت تخمين مكان الجريمة القادمة. هناك امرأة ستُطعن اليوم في مدينة (...)، ولو صح تخمينها فهي تعرف الشارع أيضًا. الآن وصلت إلى لحظة الحقيقة، ستعرف اليوم هل هي محقة، أم هي مجنونة كما يظن أصدقاؤها المقربون؟

لم تلجأ (يارا) إلى الشرطة هذه المرة، بل قررت التصرف بنفسها. كمنت في الشارع الذي تعرف أن الجريمة ستحدث فيه، وظلت تراقب حتى أوشك اليأس أن يدب في قلبها، وظنت أنها مخطئة بالفعل، ولكنها لحظتها رأت تلك المرأة تسير وحيدة في الشارع، ثم ومن مكان لم تره ظهر رجل يسير خلفها، لحظات ثم رأته يستل خنجراً طويلًا من ثيابه، ويسير مسرعًا نحو المرأة، استجمعت (يارا) شجاعتها وقفزت خلفه، التفت نحوها، ولكنها نجحت في صعقه بصاعق كهربائي فسقط فاقدًا الوعي.

اتصلت بعدها بالشرطة التي حضرت إلى المكان، وأخبرتهم بما حدث، لم يصدقها أحد في البداية، قالوا أنها كانت موجودة لحظة حدوث الجريمة وفقط، أما الذي تذكره عن القاتل المتسلسل فيبدو ضربًا من الخيال، ولكن نتيجة إصرارها الشديد قرر أحد المحققين مواجهة الرجل بما تقوله (يارا)، على أمل أن ينفيه الرجل فيخرج إليها ليعلن أنها مجنونة.

كانت المفاجأة الكبرى من نصيب المحقق، فبمجرد أن بدأ يسرد القصة للمتهم، ويواجهه بما قالته (يارا)، فوجئ بالرجل يهتف:

ـ «مستحيل! كيف عرفتم كل هذا!؟»

اعترف القاتل بعدها بارتكابه كل الجرائم بنفس النمط الذي ذكرته (يارا) في بحثها، كان الأمر مفاجئًا للجميع، ربما حتى لـ(يارا) نفسها؛ فقد كان الشك قد تسرب لقلبها أنها ربما تكون مجنونة كما يقول الجميع.

أصر القاتل على مقابلة (يارا) أولًا، قبل أن يدلي للشرطة باعتراف تفصيلي بما فعل، وفي اللقاء الذي جمعهما أبدا القاتل انبهاره الشديد بها، وقال:

ـ «لم أتصور أبدًا أن على الأرض شخص في مثل ذكائك، اسمحي لي أن أكتب إليك من السجن»

لمع نجم (يارا) بعدها، وأصبحت حديث المملكة كلها، وتصدرت صورها الصحف، والمجلات، وعقدت معها عشرات اللقاءات التلفزيونية، ووصفها البعض بأنها أذكى شخص في المملكة كلها، واقترحوا تسليم قيادة جهاز الشرطة لها، بينما وصفها آخرون بأنها الملاك الحارس الذي جاء لينتقم لأرواح المقتولين ويخرج الذين سجنوا ظلمًا. على أن أكثر ما سعدت به (يارا) هو صداقتها مع الأميرة (سارة)، وتصدر صورتهما مع عدد من الصحف، والمجلات، وأصبحت (يارا) ضيفة دائمة في كل الحفلات والتجمعات التي تحضرها الأميرة.

أصدرت (يارا) بعدها كتابًا يحكي قصتها مع القاتل الشبح، وكيف

استطاعت الوصول إليه، والعقبات التي واجهتها، ولم تنسَ أن تخصص فيه فصلًا كاملًا للمحقق الذي نصحها بالتقليل من قراءة روايات الجريمة. باع الكتاب آلاف النسخ، وساهم في تضاعف شهرة (يارا) التي تجاوزت المملكة إلى الدول المجاورة.

قامت (يارا) بعدها بافتتاح مكتب للتحريات الخاصة، جاءتها عشرات القضايا في البداية، ولكن المفاجأة كانت في انتظار موكليها، لم تتمكن (يارا) من حل قضية واحدة كبيرة، ربما حلت بعض القضايا البسيطة ولكنها لم تتمكن من حل أية جريمة كبيرة، أو القبض على أي قاتل، هز بعضهم رأسه في أسف قائلين:

ـ «يبدو أن سحرها قد ذهب»

لم تكن هذه مجرد جملة عابرة، بل كانت نبوءة بما حدث بعدها؛ فرويدًا رويدًا بدأ الناس ينفضون عنها، وينسون (يارا) قاهرة القاتل الشبح، وبدأت ذكراها تتلاشى من القلوب، وانشغل الناس بقضايا أخرى، ولم يعد أي شخص يهتم بها إلا قلة من المجلات الصغيرة التي لا تجد ما تتحدث عنه، ولم يعد أحد يهتم بدعوتها إلى أي تجمع أو احتفالية.

حاولت (يارا) إعادة مجدها السابق بإصدار كتاب آخر يحوي أوراقًا لم تنشر عن السفاح، بالإضافة إلى مجموعة مراسلات بينها وبين القاتل بعد القبض عليه، ولكنه لم يحقق لها أي نجاح يذكر؛ لقد مل الناس من القاتل الشبح، ولم يعودوا بحاجة إلى المزيد عنه.

انزوت (يارا) في الظل، وانقطعت أخبارها تمامًا، إلا من مدونة صغيرة على الإنترنت لا يتابعها أحد تقريبًا، تكتب فيها قصصًا من عالم الجريمة

تدّعي أنها قصص حقيقية سمعتها من أبطالها.

واليوم تحاول (يارا) استغلال قضية الأميرة لتعود إلى عالم الشهرة والأضواء مرة ثانية، ولكن كان عليها على الأقل أن تجد طريقة أفضل، وليس هذا الجنون.

«نكرومانسر! نكرومانسر!»

3

قلب (طارق) بصره بين وجوه الجالسين حول منضدة الاجتماعات، في غرفة الاجتماعات داخل الوحدة (بي_6). وقف رئيس الوحدة أمام شاشة عرض ضخمة تحتل جدارًا كاملًا يشير إلى صور ضحايا قاتل (الزهرة الحمراء) ويتحدث عنهم، هذا الحديث الذي سمعه (طارق) في الفترة الأخيرة مرات أكثر من قدرته على العد، ولكن الجميع يعيدون الحديث دائمًا؛ فمع انعدام أية نقطة ضوء أمامهم أصبح الماضي هو الطريق الوحيد أمامهم على أمل أن يجدوا فيه ما ينير طريقهم.

كان الوجوم يخيم على الجميع الذين يتابعون ما يقوله المدير في صمت، حتى انتهى من سرد تاريخ القضية فقال:

ـ «واصلوا البحث؛ لابد من وجود طرف خيط، لا توجد جريمة كاملة تمامًا، دائمًا هناك طرف خيط لمن يبحث جيدًا»

يكرر كلامًا محفوظًا لا ينجح على ما يبدو في إقناعه هو شخصيًا، فغادر القاعة سريعًا قبل أن يوجه أحدهم أية أسئلة، وتبعه الباقون في صمت جنائزي، وبقي (طارق) وحده يتطلع إلى الشاشة التي تحمل صور الضحايا. لا توجد جريمة كاملة، هذه القاعدة التي يتعلمها كل محقق في بداية حياته، ولكنهم يقولون أيضًا أن لكل قاعدة استثناء، ويبدو أنه قد قابل الاستثناء. هذا القاتل لا يترك وراءه أي أثر، لقد فحص كل شيء بنفسه عدة مرات حتى صار يحفظه، هذا الرجل ارتكب الجريمة

الكاملة، بل الجرائم الكاملة.

هز رأسه، ونهض من مكانه وسار نحو غرفته. لا يجب أن يفكر بطريقة سلبية هكذا، هذا الرجل ليس ساحراً، وليس شيطانًا، إنه مجرد رجل عادي، وسيصل إليه، نعم، سيكون هو من يصل إليه، لن يسمح له أن يهزمه مرة ثانية، ويفسد حياته هذه المرة، لن يكون الرجل الذي قتل الأميرة. ابتسم (طارق) عندما وصل بتفكيره إلى هذه النقطة؛ ما زالت (يارا) تبالغ كثيراً كعهده بها، لن يدعوه أحدهم بالرجل الذي قتل الأميرة مهما حدث، لقد رأى المحققين يفشلون في عشرات القضايا، ولم يدعهم أحد بالقتلة، ولكنها كانت محقة في النصف الآخر؛ إن إنقاذ الأميرة سيمنحه مجدًا وشهرة لم يكن يحلم بها.

دخل غرفته وجلس خلف المكتب الضخم، لحظات ثم نهض وعاد يتطلع إلى لوحة المعلومات خلفه. الحل يكمن هنا، عليه أن يعتصر كل خلية من عقله حتى يصل إليه، لم يدرِ كم من الوقت مر عليه، ولكنه في النهاية جلس محبطًا خالي اليدين. تطلع إلى مساعدته (أحلام) التي تعمل على الكمبيوتر أمامه، التقط هاتفه وبدأ يعبث به قليلًا، فتح نافذة البحث ثم كتب: «نكرومانسر»، ولكنه حذفها سريعًا، وهمس لنفسه:

ـ «ماذا تفعل!؟»

يذكر (طارق) أنه قد تولى في بداية حياته الشرطية قضية تتعلق بنكرومانسر، ولكنه لم يكن قاتلًا، كان نبّاشًا يسرق الجثث من القبور، وعندما قبض عليه، وسأله لماذا يفعلها، أخبره الرجل أنه نكرومانسر، وأنه يأكل الأجساد ليتعلم منها. كان الرجل مقتنعًا تمامًا بما يفعل،

ورفض كل محاولات (طارق) لإقناعه أن ما يقوله ضرب من الجنون. في النهاية أخبره (طارق) أن أحد الجثث التي سرقها سابقًا كانت لمعلم في مادة التاريخ، وعليه فسيسأله بعض الأسئلة التاريخية، إذا أجاب إجابة صحيحة فسيطلق سراحه الآن، بُهت الرجل لدقيقة، ثم قال له أنه لا يمكن أن يكشف أسراره، فتركه (طارق)، وانصرف.

لماذا يذكر هذه القصة الآن!؟ يبدو أن حوار (يارا) قد أثر في نفسه أكثر مما اعتقد. جلس على مكتبه، والتقط فنجان القهوة، وارتشف منه رشفة كبيرة، كانت باردة سيئة الطعم، مثل كل شيء خلال الأيام السابقة؛ فالحقيقة أنه لم يكن يفترض به أن يكون هنا حبيس تلك الغرفة الكئيبة، بل كان يفترض به أن يكون في مكان مختلف تمامًا.

عندما استيقظ في ذلك اليوم كانت لديه قائمة طويلة من الأشياء التي يجب أن يفعلها، لم يكن من بينها بالتأكيد تولي أهم وأخطر قضية في حياته، كان يفترض أن يتناول فنجان قهوة، ينتظر زوجته حتى تستيقظ، ثم يحظى معها بحوار طويل يخبرها خلاله كم يقدرها، ويحترمها، وكم يعتز بحياتهما معا، وأنه لن ينساها أبدًا، و.... و..... و.....، وأن عليهما أن يفترقا، نعم عليهما أن يفترقا؛ لأن الحب بينهما قد مات منذ زمن بعيد، مما يجعل الحياة مستحيلة. إنهما يعيشان على ذكريات السعادة الماضية، هذه السعادة التي رحلت، ولن تعود، وأن هذا للأفضل، من أجلها ومن أجل ابنتهما (منار).

قضى الليلة السابقة كلها يجهز في تلك الكلمة، ويجاهد لكي يصل للصيغة الصحيحة؛ ليقولها لزوجته دون أن ينتهي الأمر بكارثة، يذكر أن صديقه قد حصل على جرح طويل في الرأس عندما أخبر خطيبته

أنه سينفصل عنها، طمأن نفسه بأن زوجته لن تتفاجأ بالأمر كما يظن؛ لابد أنها تعلم أن زوجاهما قد انتهى منذ زمن، إنها مثله تتحرك بالقصور الذاتي من أجل ابنتها.

استيقظ مبكرًا، وجلس يدخن في صالة المنزل، منتظرًا استيقاظها، يرتب الكلمات حتى استقر أخيرًا على الصيغة الصحيحة التي سيخبرها بها، شعر بشعور المفترس الذي يترقب فريسته، منتظرًا اللحظة المناسبة للانقضاض، هذه المرأة ستستيقظ، وتمر به فتلقي بكلمات عابرة دون اهتمام كعادتها، ثم تبدأ القيام بأمورها الروتينية، ولا تعلم أن اليوم سيكون مختلفًا. ولكن جرس الباب اللعين أفسد كل شي، ليته لم يفتح الباب في ذلك اليوم، بل ليته فتح النافذة، وفر هاربًا عندما سمعه، فتح الباب ليجد رجلين من الشرطة يخبرانه أنه مطلوب على وجه السرعة.

أدرك أن الأمر خطير ليتم استدعاؤه من منزله أثناء إجازته بهذه الطريقة، ولكنه لم يتخيل أن يكون الأمر خطيرًا إلى تلك الدرجة. عودة قاتل الزهرة الحمراء، واختفاء الأميرة (سارة)، إنه ليس خطيرًا، إنه كابوس مرير اضطر لمعايشته بدلًا من أن يكمل برنامجه بالانفصال عن زوجته، ثم الزواج من حبه الحقيقي، والسفر لقضاء شهر عسلهما، حيث يتمدد على الشاطئ يراقب أمواج البحر، بدلًا من التطلع إلى وجوه الضحايا الذين يصرخون به أن يجد قاتلهم، وينتقم لهم، وهو لا يملك أي شي ليفعله.

تلقى اتصالًا من رئيس الوزراء يخبره أنه يضع كل مصادر الدولة بين يديه لإنقاذ الأميرة، وأنه يكلفه بقيادة فريق البحث الخاص بالوحدة

(بي-6) لمكافحة الإرهاب. كان يأمل في الحصول على نتائج مختلفة باستخدام إمكانيات الوحدة الكبيرة، ولكن آماله كلها تبددت مع لقائه الأول بمدير الوحدة، لقد تأكدت الحقيقة، هذا القاتل شبح لا يترك خلفه أي أثر!

تطلع إلى ملفات القضية المستقرة على سطح مكتبه، وخلفه لوحة ضخمة مثبت عليها صور، وقصاصات جرائد، وأوراق ملاحظات تربط بينها خيوط ملونة، وفي الأعلى توجد ورقة بيضاء عليها علامة استفهام كبيرة، وتحتها رسم لزهرة حمراء صغيرة، قامت مساعدته (أحلام) بإعدادها بناءً على تعليماته.

أغمض عينيه، وراحت الأفكار والأسئلة تتصارع داخل رأسه. من هو الزهرة الحمراء؟ وأين يختفي؟ وكيف نجح في اختطاف الأميرة؟ وأين يخفيها؟ وماذا سيفعل بها؟ هل سيعاملها مثل ضحاياه السابقين؟ ولماذا اختطف الأميرة؟ لماذا خالف نسقه المعهود؟ هل هناك شخص يحركه؟ من هو؟ وما.... وماذا؟ وهل...؟ عشرات الأسئلة تدور داخل رأسه دون إجابة. نهض من مكانه والتقط كوب ماء، ارتشف منه رشفة صغيرة ثم أعاده إلى مكانه، وأخذ نفسًا عميقًا محاولًا السيطرة على أفكاره.

هذه الأسئلة الكثيرة لن تذهب به إلى أي مكان، بل ستفضي به إلى المزيد من الحيرة. عليه أن يفعل ما يجيده؛ يعود بالأمر إلى نقطة البداية، تطلع إلى اللوحة خلفه، ووضع إصبعه على صورة سيدة قائلًا:

ـ «هنا كانت البداية»

كانت البداية منذ ست سنوات عندما تلقت الشرطة بلاغًا يفيد العثور

على جثة سيدة موضوعة على أحد المقاعد في الحديقة العامة، وعلى الفور انتقل فريق البحث إلى المكان. تم فحص المكان جيدًا، ولكن كل شيء كان نظيفًا، كأن الجثة ظهرت من العدم، لا شيء يشير إلى من وضعها، باستثناء زهرة حمراء كبيرة مثبتة بين أسنانها.

تم نقلها إلى مقر الطب الشرعي، حيث تبين من الفحص أن الضحية (مفيدة وجدي) قد توفيت نتيجة التسمم بنوع نادر من السموم، يقتل ضحيته على الفور، ولا يوجد أي دليل على القاتل. ولكن المفاجأة أظهرتها التحقيقات؛ فـ(مفيدة) تم الإبلاغ عن اختفائها منذ أسبوعين، وقد عثر أقاربها على زهرة حمراء في المحل الذي تعمل به ليلة اختفائها. لم ينتبه أحد وقتها إلى الزهرة حتى تم العثور على الأخرى بين أسنانها.

استمرت التحقيقات لفترة، وتناولت الصحافة القضية وأطلقت على القاتل (قاتل الزهرة الحمراء)، هذا الاسم الذي اختصر لاحقًا إلى (الزهرة الحمراء)، بحث الجمع دون فائدة، وفي النهاية قيضت القضية ضد مجهول، ونسي الجميع كل شي عنها.

عاد (الزهرة الحمراء) إلى الظهور بعد ستة أشهر، عندما تلقت الشرطة بلاغًا باختفاء شاب في الثامنة عشر من عمره يُدعى (ماجد فيصل)، وعثرت أسرته على زهرة حمراء داخل حقيبته التي عُثر عليها في النادي الرياضي الذي يتدرب به، طمأنت الشرطة أهل الفتى أنهم سيبذلون كل جهدهم للوصول إليه، وأنه لا شيء يثبت أنه نفس قاتل (مفيدة)، ربما كان أمرًا آخر.

ظهرت النتيجة الحزينة بعد ثلاثة أسابيع؛ فقد تم العثور على جسد

الفتى بجوار النهر، وفي فمه زهرة حمراء، ومثل السابقة كان مسرح الجريمة نظيفًا تمامًا، وتبين بالفحص أنه مات بنفس السم الذي ماتت به (مفيدة).

عاد (الزهرة الحمراء) ليفرض نفسه بقوة على الساحة بعد هذه الجريمة، وظهرت العديد من النظريات تحاول تحديد هويته أو الربط بين ضحاياه، ولكن بلا فائدة. انضم (طارق) إلى فريق البحث بعد تلك الجريمة، ولكنه لم يستطع إضافة أي شيء.

لم يطل الانتظار مثل المرة السابقة؛ فبعد ثلاثة أشهر ظهرت الضحية الثالثة. (مي الشربيني)، سيدة في الثلاثينيات من عمرها، أم حديثة لتوأم، ظهرت جثتها في شارع شهير في المدينة بعد اختفائها بعشرة أيام، ومثل المرتين السابقتين، تم العثور على زهرة حمراء يوم اختفائها، وزهرة في فم جثتها، على أن المثير هذه المرة أن الزهرة التي عثر عليها يوم اختفائها عثر عليها داخل منزلها، مما يعني أن القاتل كان داخل المنزل، الأمر الذي دفع زوجها إلى أخذ أطفاله وترك المنزل بلا رجعة.

حاول (طارق) تتبع القاتل عن طريق استنتاج نمط ضحاياه، ولكنه لم يصل إلى أية نتيجة؛ فالضحايا متنوعون بين امرأة كبيرة، ومراهق، وسيدة شابة، ولا يوجد أي رابط بينهم، ولا يوجد حتى أي عامل مشترك يجمع بينهم. تم تجنيد فريق أكبر من المحققين، ولكن النتيجة ظلت كما هي.

توالت الضحايا بعدها بفواصل زمنية مختلفة بينهم، ومختلفة أيضًا بين فترات الاختفاء ثم ظهور جسد الضحية؛ فقد امتدت من عشرة أيام إلى شهرين، وبفاصل بين الجرائم من شهر إلى ستة أشهر كحد أقصى،

والثابت الوحيد هو الزهرتان، زهرة يُعثر عليها يوم اختفاء الضحية في مكان اختفائها، وزهرة توضع بين أسنان الجثة. استمر المسلسل حتى وصل إلى إحدى عشرة ضحية خلال ثلاث سنوات دون أن يترك خلفه دليلًا واحدًا، وكانت قائمة الضحايا هي:

1- (مفيدة وجدي): في الخمسينيات من عمرها، تعمل في ثلاث وظائف مختلفة في محلين، ومطعم.

2- (ماجد فيصل): في الثامنة عشرة من عمره، طالب.

3- (مي الشربيني): في الثلاثينيات من عمرها، ربة منزل، وأم حديثة لتوأمين.

4- (أميرة نور): في الثلاثينيات من عمرها، مُدرسة.

5- (هاني محمد): في الخامسة والأربعين من عمره، عامل في مصنع.

6- (أشرف كمال): في السابعة والعشرين من عمره، محامٍ.

7- (علي رضوان): في الحادية والعشرين من عمره، طالب.

8- (أصالة شاكر): في الستين من عمرها، ربة منزل.

9- (حنين علي): في الرابعة والثلاثين من عمرها، مهندسة.

10- (صالح رزق): في الثلاثين من عمره، مسجل خطر سابق، بلا عمل.

11- (ماريا صلاح): في الثالثة والعشرين من عمرها، طالبة.

استعانت الشرطة بعدد كبير من المحققين، والمحللين النفسيين، وحتى رجال تحرٍ خاصين في واحدة، ولكنهم خرجوا جميعًا بنتيجة واحدة،

وهي (لا شيء). هذا الرجل لا يتبع أية نمط محدد، ولا يترك خلفه أي أثر، إنه كما وصفه أحدهم (شبح)، ولن يتمكن من القبض عليه إلا ساحر.

وكما ظهر القاتل فجأة اختفى فجأة! لثلاث سنوات كاملة لم تظهر أية زهور حمراء، وانقطعت أخباره تمامًا، وتوقفت فرق البحث عنه إلا من بعض المتطوعين، وأصحاب النظريات الغريبة الذين ادعى بعضهم أن القاتل هو الشيطان ذاته.

ترك هذا الأمر جرحًا لم يندمل في قلب (طارق)؛ فعلى الرغم من حله الكثير من القضايا سواء قبلها أو بعدها، وبعضها قضايا عدها البعض مستحيلة، إلا أن حلم (الزهرة الحمراء) ما زال يؤرقه طوال الوقت، يأتيه طيفه في بعض الليالي، ويحدثه ويحكي له، يحاول أن يقبض عليه، ولكنه يتلاشى سريعًا.

ثلاث سنوات كاملة دون أثر، ثم عاد القاتل منذ يومين ليفرض نفسه على الساحة بقوة؛ فقد اختفت الأميرة (سارة) أثناء حضورها حفلًا خيريًا لتكريم المعلمين المتقاعدين في قاعة المدينة، وتم العثور على زهرة حمراء في الحمام الذي شوهدت الأميرة تتوجه إليه قبل اختفائها مباشرة، تم فحص المكان عشرات المرات، ولكنهم لم يعثروا على دليل واحد عن كيفية اختفائها.

حاولت الشرطة التكتم على الأمر، ولكن الخبر تسرب للصحافة، فعاد (الزهرة الحمراء) يتصدر الأخبار، ولكن ليس داخل المملكة فحسب هذه المرة، بل في العالم أجمع؛ فالأميرة (سارة) لم تكن شخصًا عاديًا، فهي لم تكتسب شهرتها بسبب كونها أميرة من الأسرة المالكة فحسب،

بل اكتسبت شهرتها من قربها من الشعب، وحب الشعب لها، حتى أن البعض يعتبرها هي الوجه الحقيقي للملكة.

كانت الأميرة تحرص دائمًا على الظهور في مختلف المناسبات، ومشاركة اللحظات السعيدة والحزينة مع الشعب؛ تدير الجمعيات الخيرية، وتساهم في الكثير من الأعمال التطوعية. تحرص على التواجد بجوار الشعب دائمًا، وتحضر الكثير من المناسبات العامة والخاصة، حتى قيل أن أصغر عامل في المملكة لديه صورة تجمعه بالأميرة.

راجع (طارق) كل أوراقه السابقة عن (الزهرة الحمراء)، ولكن دون فائدة، لم يكتشف ثغرة وقتها، ولم يكتشف الآن، ولكن السؤال الذي يلح عليه بشدة هو (لماذا عاد القاتل الآن؟ ولماذا الأميرة؟)؛ إنها مختلفة عن كل ضحاياه السابقين، كلهم كانوا أشخاصًا عاديين من مدينة صغيرة، فلماذا قرر القفز إلى هذا المستوى؟ هل هو يقدم لعبته النهائية كما اقترح البعض؟ أم أنه يعلن الانتقال إلى مستوى جديد وهذه لن تكون الأخيرة كما يقول آخرون؟

التقط هاتفه مرة أخرى، وبدأ يعمل عليه قليلًا، وهو يختلس النظر إلى (أحلام) بين الحين والآخر، ويهمس لنفسه:

ـ «لم يكن من المفترض أن نكون هنا!»

اتجه إلى جهاز الكمبيوتر أمامه، وفتح نافذة البحث ثم كتب: «نكرومانسر»، وضغط زر البحث وهو يهمس لنفسه:

ـ «هل يعقل أن يكون هذا هو الحل الوحيد؟»

لحظات ثم ظهرت عشرات النتائج أمامه، توجد الكثيـر من المعلومات

عن النكرومانسر في قاعدة بيانات الوحدة (بي_6)، لماذا يهتمون بالأمر إلى هذا الحد إذا كان مجرد أسطورة سخيفة كما يظن!؟ اختار النتيجة الأولى، وبدأ يقرأ.

«النكرومانسي اسم مشتق من أصل يوناني (νεκρομαντεία nekromanteía) وهو عبارة هو عملية استدعاء لأرواح الموتى يقوم بها ممارس هذه العملية لسؤالها عن أغراض عديدة، كالمعرفة الروحية، أو الحصول على الحكمة أو القوة الروحية.

تمتد جذور النكرومانسي إلى أعماق التاريخ، ويظن الدارسون أن هذه الطقوس ولدت لأول مرة في بلاد فارس وبابل، ثم نشرها المغول مع حروبهم وغزواتهم عبر العالم كله، والنكرومانسر في بلاد بابل كانوا يطلقون عليه اسم [مانزازو (Manzazu)]، وأرواح الموتى التي يوقظها يطلق عليها اسم [إيتيمو (Etemmu)].

يعتمد النكرومانسي على تمزيق جثث الموتى، وأكل أجزاء منها لمعرفة كل ما عرفوه وسمعوه وتعلموه في حياتهم».

أغلق الصفحة عند هذا الحد، تبدو معلومات عامة مثل التي يمكنه الحصول عليها من الإنترنت. تطلع إلى بقية النتائج، هناك معلومات عن بعض الأشخاص الذين ادعوا قدرتهم على القيام بالأمر، ولكنها كالعادة مجرد قصص، ولا شيء مؤكد، هناك معلومة عن برنامج حكومي يتعلق بالنكرومانسي فيه، حاول البحث عنه، ولكن المعلومات كانت تحتاج إلى تصريح أمني أعلى بكثير من الذي يملكه.

أفاق من خواطره على صوت طرقات على الباب، ثم دخل مدير الوحدة،

فنهض من مكانه، وصافحه. كان غريبًا أن يأتي بنفسه؛ ففي العادة يرسل إليه من يستدعيه إليه، تطلع المدير نحوه لدقيقة، ثم قال:

ـ «الملكة تريد أن تتحدث معنا»

كرر (طارق):

ـ «الملكة؟»

قالت (أحلام):

ـ «ملكتنا!؟»

قال المدير:

ـ «وهل هناك ملكة أخرى!؟ لقد تلقيت اتصالًا من ديوان جلالتها يخبرني أنها تريد أن تتحدث معي ومع الضابط المسؤول عن التحقيق، ستقوم بالاتصال بعد نصف ساعة»

قالها، ونظر إلى ساعته قائلًا:

ـ «هيا بنا إلى مكتبي، فلم يبقَ سوى أقل من عشر دقائق»

سار الاثنان في صمت حتى غرفة المكتب، جلسا على مقعدين متقابلين.
قال المدير:

ـ «ماذا تعتقد أنها تريد؟»

قال (طارق):

ـ «أعتقد أنها ستسألنا عن تطورات القضية»

هز المدير رأسه قائلًا:

ـ «هل تعتقد أن الملكة ستتصل بنا بنفسها للحصول على معلومات حول القضية!؟»

قال (طارق):

ـ «لماذا إذًا؟»

ـ «ستعرف بعد قليل»

قالها، وصمت لحظات، ثم أكمل:

ـ «لقد تلقيتُ اتصالًا هذا الصباح من السيد رئيس الوزراء، كرر خلاله تأكيده بأنه يضع كل إمكانيات الدولة تحت أيدينا للوصول إلى الأميرة، ولكنه لم ينسَ أن يؤكد شيئًا آخر قبل انتهاء المكالمة، هذه ليست قضية عادية، هذه قضية حياتنا، ننجح فيها ونحصل على كل شي، نفشل، ونخسر كل شيء، كل شيء، هل تفهم ما أعنيه؟»

ـ «سنكون محظوظين لو وجدنا مكانًا داخل علبة أحذية في أقبح ثقب من الجحيم لنموت فيه»

تطلع إليه الرئيس للحظات، ثم قال:

ـ «بالضبط»

ارتفع رنين الهاتف في تلك اللحظة، فارتجف جسد المدير، وقال:

ـ «هل تعرف أنهم يلقبونها بملكة الثلج؟»

ـ «ماذا؟»

لم يجب المدير، وضغط زر الإجابة، أتاه صوت يقول: «جلالة الملكة

ستكون معكم بعد لحظات». مرت لحظات قليلة، ثم جاء صوتها:

ـ «مرحبًا بكم أيها السادة»

ـ «مرحبًا جلالة الملكة، هنا رئيس الوحدة (بي_6)، ومعي (طارق)، المحقق المسؤول عن القضية»

قالت الملكة:

ـ «إلى أين وصلتما في البحث؟»

لحظات من الصمت، ثم قال الرئيس:

ـ «إننا نبذل قصارى جهدنا يا جلالة الملكة، ونعدك أننا قريبًا سنصل إلى....»

قاطعته الملكة قائلة:

ـ «أنا لا أريد وعودك، أنا أريد الأميرة أمامي، وهذا القاتل خلف القضبان، هل تفهمون هذا؟»

قال المدير:

ـ «بالتأكيد يا جلالة الملكة، بالتأكيد»

قالت الملكة:

ـ «لا يبدو لي أنكما تريان الصورة الكاملة لما يحدث هنا؛ هذه ليست مثل قضاياكما المعتادة، الأميرة (سارة) ليست امرأة عادية، إنها رمز المملكة، وهذا الرجل بخطفه لها يتحدى المملكة كلها، بل إنه يهين المملكة كلها ويسخر منها، وهذا ما لن أسمح به أبدًا، هل تفهمانني؟

لن أسمح لرجل مهما كان أن يسخر من المملكة كلها ويمر هذا بسلام فقط لأنكم لا تقومون بعملكم كما ينبغي!»

قال (طارق):

ـ «إننا لم نقم بـ.....»

قاطعه المدير قائلًا:

ـ «نعدك أن نضاعف جهودنا حتى نصل إليه، جلالتك»

قالت الملكة:

ـ «يستحسن أن يكون لديكما بعض الأخبار الجيدة في المرة القادمة، وإلا ستسمعان أنتما أخبارًا لا تسركما»

قالتها، وجاء صوت المسؤول يعلن انتهاء الاتصال. قال الرئيس:

ـ «هذه المرأة قادرة على تجميد الدماء في العروق كما يقولون»

همس (طارق) لنفسه:

ـ «اللعنة! (يارا) كانت محقة!»

أغلق (طارق) عينيه، واسترخى في مقعده، وبدأ يسترجع شريط الأحداث للمرة الخامسة، وهو يسأل نفسه، (لماذا الأميرة؟ لماذا الآن؟ هل بالفعل يسعى لتحدي الدولة؟ أم أن الأمر بالنسبة له مجرد ضحية أخرى؟ أم أنه مدفوع من جهة خارجية؟ من هي هذه الجهة؟ وما مصلحتها في إخفاء الأميرة بهذه الطريقة؟ ولماذا لم يعلن أحد عن أية مطالب حتى الآن؟ هل حقًا سيستمر السيناريو مثل كل مرة وينتهي بالعثور على جثة الأميرة، وفي فمها زهرة حمراء؟) سيكون محظوظًا بالفعل لو وجد علبة أحذية يقضي فيها باقي حياته! لابد من وجود طريقة للوصول إلى القاتل، لا أحد كامل، لابد من طرف خيط يقود إليه. همس لنفسه:

ـ «أنت لديك طرف خيط»

هز رأسه ليطرح عنه تلك الفكرة، وقال:

ـ «هذا ليس طرف خيط، هذا لعنة»

عادت الفكرة تطوف في رأسه، هذه لعنة، وهذا القاتل لعين، يبدو الأمر مثاليًا، لا ليس مثاليًا أبدًا، إنه خبيث جدًا، سحر يعتمد على أكل أجساد الموتى لمعرفة أسرارهم، إنه ينتهك كل قناعاته الشخصية، يعادي مبادئه التي عاش عليها، فضلًا عن اختراقه لدستة من القوانين، لا، لا يمكنه أن يفعلها.

نهض من مكانه، وسار للخارج حيث قاعة المحللين، كان الوجوم يخيم على الجميع، شعر أن المكان يطبق على صدره فغادر سريعًا. قاد سيارته حتى مقهى قريب، دخل وطلب قدحًا من القهوة. يحتاج أن يبتعد قليلًا لتجديد نشاطه، ولكن الأمر كان له بالمرصاد؛ فالشاشة الكبيرة المعلقة في منتصف المقهى كانت تعرض لقاءات تلفزيونية مع أسر ضحايا (الزهرة الحمراء). رأى الألم والحزن، والمعاناة، والكراهية تتجسد على وجوههم، وهم يتحدثون عنه، وكيف سلبهم أحباءهم، وعن ثقتهم في الحكومة، وأنها ستثأر لهم، همس لنفسه:

ـ «هؤلاء القوم لا يستحقون هذا الألم»

وهنا لمعت الفكرة في رأسه، لماذا يفكر في نفسه طوال الوقت، لماذا لم يفكر في الضحايا وعائلاتهم، إن الأمر لا يتعلق به، وبما يريده؛ إنه يتعلق بواجبه نحو هؤلاء الأشخاص، هؤلاء الذين أنتزعوا من وسط أحبابهم، وقتلوا بهذه الطريقة الوحشية دون ذنب ارتكبوه، فقط لإشباع غريزة قاتل مجنون، ماذا عن عائلاتهم الذين تحطمت حياتهم من رعب الانتظار؟ مرة عندما يعلمون أن أبناءهم قد وقعوا في يد القاتل، وأن العد التنازلي قد بدأ لإنهاء حياتهم، يحاولون التحلي بالأمل والقوة، يقولون أنهم يضعون ثقتهم في رجال الشرطة، ولكنهم يخذلونهم المرة تلو المرة، وفي النهاية يتلقون النهاية القاسية، بعضهم لم يتحمل ما حدث، ماتت والدة أحد الضحايا وجنت أخرى، ماذا عن هؤلاء كلهم!؟

والآن يعود مرة أخرى، ويختطف الأميرة (سارة) رمز البلاد، يجب أن يوقفه عند حده، ليس من أجل الأميرة (سارة)، وما يعقب ذلك من

شهرة ومجد، ولكن من أجل الإنسانة (سارة)، ومن أجل عائلتها، ومن أجل ألا يتكرر هذا الأمر مرة أخرى، نعم كان سيفعل ما يجب عليه فعله سواء كانت هذه المرأة أميرة أم مواطنه عادية، لقد آن الأوان لإيقاف هذا القاتل، ووضع نهاية لهذا الرعب.

فلينظر إلى الأمر بنظرة موضوعية، ما هو الأسوأ؟ ترك قاتل متسلسل يعيث فسادًا ورعبًا في البلاد؟ أم ممارسة النكرومانسي على إحدى الجثث؟ إنه ليس أمرًا بشعًا للغاية عندما يفكر فيه بطريقة موضوعية؛ بل أمر كان ليرحب به بشدة، لو كان هو أحد الضحايا، وكانت هذه هي الطريق الوحيدة للقبض على قاتله؛ فأن تمزق جثته، ويقبض على قاتله أفضل من أن يبقى قطعة واحدة وقاتله طليق، وعلى كل حال لن يضر الشاة سلخها بعد ذبحها.

حسم أمره فنهض، وتحرك للخارج، التقط هاتفه، وطلب (يارا) ولكن هاتفها كان مغلقًا، كرر الطلب بلا فائدة، فألقى الهاتف جانبًا وقاد سيارته نحو مكتبها متمنيًا أن يجدها هناك. وصل أسرع من المرة السابقة، صعد السلم حتى مكتبها، دفع الباب ودخل. لم تكن سكرتيرتها موجودة، فاتجه إلى غرفتها مباشرة ودفع الباب، رآها نائمة على مقعدين تسند ظهرها على أحدهما، وتضع قدميها على الآخر، وقد غطت وجهها بمجلة ما، نقر على المكتب قائلًا:

ـ «(يارا)!»

لحظات، ثم اعتدلت في جلستها، وتطلعت إليه للحظات، ثم قالت:

ـ «انظروا من عاد! إنه القديس (طارق)، ألم أخبرك أنك ستعود؟»

قال (طارق):

ـ «هل يمكننا أن نبدأ دون المزيد من الكلام؟»

قاطعته (يارا) قائلة:

ـ «ألم أخبرك أنك ستعود؟ القديس (طارق) يعود إلى صفوف الآثمين، العاقل يعود إلى صفوف المجانين، الطيب يعود إلى صفوف المتوحشين...»

قال (طارق):

ـ «هل انتهيت؟»

ـ «لا، ما زالت لدي واحدة أخرى»

صمتت للحظات، ثم ضربت جبهتها بيدها قائلة:

ـ «اللعنة! كنت متأكدة أن لدي واحدة أخرى، يجب أن أبدأ بتدوين هذه الأشياء، لم تعد ذاكرتي بخير مؤخرًا»

ـ «حسنًا فلنبدأ، أخبريني بكل ما تعرفيه عن هذا النكرومانسر»

تطلعت إليه (يارا) للحظات، ثم قالت:

ـ «حسنًا، سأخبرك، ولكن أخبرني ما الذي جعلك تغير رأيك؟»

ـ «إنني لا أفعلها من أجلي إن كان هذا ما تظنينه، إنني أفعلها من أجل هؤلاء الضحايا المساكين اللذين لم يستحقوا ما حدث لهم، من أجل عائلاتهم، من أجل منع المزيد من...»

قاطعته (يارا) قائلة:

ـ «يالك من إنسان شهم!»

ـ «تبدين غير مصدقة»

هزت كتفيها قائلة:

ـ «لا يهم، أي يكن ما تخبر به نفسك يا صديقي، المهم عندي أن نفعلها»

ـ «على الأقل لا أفعلها من أجل الشهرة مثلك»

ـ «على الأقل أنا صادقة مع نفسي»

خيم الصمت للحظات، حتى قال (طارق):

ـ «يجب أن نتفق على عدة نقاط قبل أن نبدأ»

ـ «هات ما لديك»

ـ «أنت لن تحصلي على كل الفضل وحدك كما تظنين، ولن تقتسميه معي فحسب، بل سيتم تقديم فريق البحث كله، هل تعرفين كم عدد هذا الفريق؟....»

قالت (يارا):

ـ «وهل تعرف أنت عم نتحدث؟ إننا نتحدث عن الأميرة اللعينة! سيكون هناك فضل يكفي أضعاف هذا الفريق، لن أندهش كثيراً لو وقف الناس في طابور للحصول على توقيع سكرتيرتي اللعينة»

ـ «جيد أننا اتفقنا على هذه النقطة. نقطة أخرى، كيف سنقدم ما سنحصل عليه من معلومات للمحكمة؟»

ـ «بمجرد أن نصل للقاتل سنقوم بوضع خطة عكسية، سنجذب الخيط من عنده إلى النقطة التي يمكننا القول أننا بدأنا بها»

ـ «جيد، لقد فكرت في هذا أيضًا. النقطة الثانية هي السرية التامة، لا يجب أن يعرف أي شخص بهذا الأمر خارجنا»

قالت (يارا):

ـ «فقط أنا وأنت و(مروان)»

ـ «ومن هو (مروان)؟»

ـ «إنه الشخص الذي سيقوم بالأعمال القذرة، يحفر القبور، ويحضر الجثة، ربما يستجوب شاهدًا أو شيئًا مماثلًا»

فكر (طارق) للحظات، يبدو أن الأمر يخرج عما فكر فيه، ولكن كلامها يبدو منطقيًا، إنهم يحتاجون لشخص مثله لإتمام العملية، ولكن... قطع تفكيره صوت (يارا):

ـ «لا تقلق، يمكنك الثقة بـ(مروان) ثقة تامة، إن آخر شيء يمكن أن يفعله هو إفشاء أسرار عملائه، كما أنه مدين لي بالكثير»

ـ «وما هو عمل (مروان) بالضبط؟»

ـ «يمكنك القول أنه صاحب شركة حراسات أمنية»

ـ «وما شأن الحراسات الأمنية بهذه الأمور؟»

رفعت (يارا) يدها مشيرة:

ـ «من الأفضل ألا تسأل كثيرًا، فقط ثق بي»

ـ «وهل سيحصل (مروان) على جزء من مجد إنقاذ الأميرة؟»

ـ «لا، أبدًا، إن (مروان) شخص يحب أن يبقى وسط الظلال، وأكثر ما يكرهه هو تسليط الأضواء عليه»

تطلع إليها (طارق) لدقيقة يقلب الأمر في رأسه، ليس لديه حل آخر، يجب أن يسير معها إلى النهاية، قال:

ـ «هل هناك تفاصيل أخرى؟»

ـ «لا، هذا كل ما نحتاجه»

ـ «جيد، والآن أخبريني بكل شيء عن هذا النكرومانسر»

التقطت (يارا) صورة من ملف أمامها، وناولتها له قائلًا:

ـ «اسمه (فريد مدحت)»

تتطلع (طارق) إلى الصورة للحظات، ثم قال:

ـ «لا يبدو لي كنكرومانسر»

ـ «وكيف توقعته أن يبدو؟ أن يكون مرتديًا أسمال بالية، أو ثياب من ريش الطيور، وحول رقبته عقد من أسنان الفهد، وفوق رأسه جمجمة بشرية...»

ـ «كفي عن هذا الكلام، لم أقصد شيئًا من هرائك، ولتكملي الموضوع، ولكن أريدك أن تخبريني بشيء أولًا، لماذا لم تقومي بهذا الأمر وحدك؟ لا يبدو لي أنك تحتاجيني في شيء»

نقرت (يارا) على المكتب أمامها قائلة:

ـ «أولًا، لا تتوفر لدي المصادر اللازمة للعمل. وثانيًا أنه من الجيد وجود عقل مثلك إلى جواري أثناء البحث، فأنا اعتقد أن الأمر لن يتم بسهولة. وأخيرًا، هناك مشكلة صغيرة في الموضوع تمنعني من القيام به وحدي»

تطلع إليها (طارق) للحظات، ثم قال:

ـ «بالطبع هناك مشكلة، دائمًا هناك مشكلة لعينة»

ـ «انتبه، فقد أصبحت تتحدث مثلي، وتلعن كثيرًا»

ـ «ما هي المشكلة؟»

ـ «إن (فريد) ليس حرًا، إنه يقضي عقوبة خمس سنوات في سجن العاصمة»

ـ «ماذا؟»

ـ «لقد قضي عامين، وما زال أمامه ثلاثة»

ـ «هل تمزحين معي؟»

ضربت (يارا) على المكتب قائلة:

ـ «لا تقل لي أن شخصًا في مكانتك وبصلاحياتك الحالية سيجد صعوبة في إخراج سجين من السجن لفترة قصيرة ليعيننا في البحث، ثم يعود بعد الانتهاء»

فكر (طارق) للحظات، ثم قال:

ـ «الأمر يصبح أكبر مما ظننت، ولكن يمكنني فعلها، ما هي تهمة (فريد)؟»

ـ «الاحتيال»

ـ «الاحتيال!»

ـ «نعم الاحتيال، ماذا توقعت، أن تكون ممارسة النكرومانسي!»

ـ «ولماذا أنت واثقة أنه سيعيننا؟»

ـ «سيفعل، إنه يريدني أن أكتب كتابًا عنه، كما إنه يريد الانتقال إلى سجن مدينة (....) بالقرب من أهله، سيساعدنا لو حققنا له ذلك فقد قدم طلبًا إلى الإدارة ولكنه رفض»

فكر (طارق) لدقيقة، ثم قال:

ـ «يمكنني تدبر أمر إخراجه، ونقله إلى السجن، المطلوب، ولكنك لم تخبريني بعد كيف تعريفين (فريد)، وكيف تعرفين أنه نكرومانسر؟»

ـ «أنا أعرف رجلًا داخل السجن حكى لي عن (فريد)»

ـ «أخبرتك أن تقولي كل شيء دفعة واحدة»

جلست (يارا) على مقعدها، والتقطت ورقة مقطوعة من جريدة وناولتها له قائلة:

ـ «هل تذكر هذه الحادثة؟»

تطلع إلى (طارق) إلى الورقة، كانت تتحدث عن سجن رجل العصابات (محسن رزق) بتهمة قتل زوجته، قال (طارق):

ـ «أذكر أنني سمعت عنها، ما هي علاقتها بموضوعنا؟»

ـ «لقد قال (محسن) في التحقيقات أن شخصًا آخر قتل زوجته، ولفّـق

التهمة له، سألوه من هو، ولكنه لم يعرف، فقط يصر على وجود شخص آخر، بالطبع لم يصدقه أحد فقد كانت الأدلة كلها ضده، حكم عليه بالسجن مدى الحياة في سجن العاصمة، وهناك قابل (فريد)، عرض عليه (فريد) أن يخبره بقاتل زوجته الحقيقي مقابل حمايته لفريد داخل السجن، وبالفعل فعلها (فريد)، وكشف القاتل الحقيقي، بالطبع لا تصلح هذه المعلومات للتقدم في المحكمة، ولكنها كانت كافية لـ(محسن) ليحصل على انتقامه، ويحصل (فريد) على حمايته»

ـ «انتظري لحظة، كيف فعلها (فريد)، وهو داخل السجن؟»

ـ «لا أعرف التفاصيل بالضبط، ولكنهم قاموا بتهريب أجزاء من بقايا جثة الزوجة إلى داخل السجن، فالنكرومانسر لا يحتاج إلى جثة كاملة كما يظن البعض، لقد حكى لي رفيق زنزانة (فريد) القصة الكاملة، كما سمعتها أنا منه مرة أخرى بتفاصيلها عندما زرته في السجن، ومعها أمور كثيرة عن النكرومانسي لا أظن أنك تريد أن تسمعها»

ـ «وكيف تعلم (فريد) هذا السحر الأسود؟»

ـ «هذه النقطة بالذات لا أعرفها؛ إنهم يعتبرون حفظ سر المعلم هو صلب عقيدة النكرومانسر، ولا يمكن للممارس أن يكشفه أبدًا»

ـ «تبدين واثقة من هذا الرجل»

ـ «جدًا، لم أكتفِ بكلامه فقط، لقد قمت بأبحاثي جيدًا، وأنت تعرفني عندما أبحث، هذا الرجل هو فرصتنا الوحيدة للوصول إلى القاتل»

فكر (طارق) للحظات أخيرة، يبدو الأمر معقد للغاية؛ عليه الثقة بمجنونة تهوي الشهرة، ونكرومانسر، وشخص مريب لا يعرف عمله،

يمكن أن ينقلب الأمر وينفجر في وجهه في لحظة واحدة، أخذ نفس عميق، ثم قال:

ـ «لنفعلها!»

5

«كان المطر ينهمر في الخارج بشدة، وضوء البرق ينعكس على زجاج النوافذ، يليه صوت الرعد يصم الآذان، تطلعت (ريم) إلى المشهد للحظات، ثم عادت تكمل تناول عشائها مع زوجها في صمت، دقائق ثم دق جرس الهاتف فنهضت (ريم)، والتقطت السماعة، جاءها الصوت من الطرف الآخر: «أمي، هل هذه أنت؟ إنها أنا (منار)»، لم تصدق المرأة ما تسمعه، شعرت بالكهرباء تسري في جسدها كله، فقدت النطق، عاد الصوت يكرر: «أمي، هل هذه أنت؟ إنها أنا (منار)»، سقطت السماعة من يد المرأة، نظر لها زوجها مستفسراً، فقالت: «إنها (منار) على الهاتف»، انتفض الرجل في مقعده كالملسوع، كررت (ريم): «إنها (منار)»، صرخ الزوج: «مستحيل!». كانت تعرف أنه محق، فقد ماتت (منار) منذ عامين، تحديدًا قتلاها منذ عامين، و....»

بتر (فريد) عبارته عندما ارتفع صوت أحد السجناء:

ـ «هذه ليست قصة حقيقية؛ إنك تختلق هذه الأمور!»

تلفت (فريد) إلى الجالسين حوله في ساحة السجن، وقال:

ـ «أتمنى لو كنت أختلقها، ولكنها حقيقية؛ لقد كانت قضية شهيرة، فقد انهارت الزوجة بعدها واعترفت بكل شي، وأرشدت إلى مكان دفن ابنتها التي ظنها الجميع مختفية»

قال سجين آخر:

ـ «أن يعود ضحاياك من الموت، يا له من أمر مرعب ليفكر المرء به!»

قال آخر:

ـ «سيكون لدي كتيبة تتبعني»

قال (فريد):

ـ «هذه القصة ليست أسوأ ما لدي؛ لدي قصص لا يمكنكم أن تتحملوها، ستجعلكم عاجزين عن النوم ليلًا، لقد رأيت أشياء لا يمكنكم التصديق أنها موجودة حتى لو رأيتموها بأعينكم»

ارتفع صوت (محسن)، وهو يتقدم نحوهم قائلًا:

ـ «ألن تكف عن حكاية قصصك اللعينة!؟ إنها تسبب لي الأرق، إنني لا أستطيع إخراج قصة الرجل الذي التهم ساقه من رأسي حتى الآن»

انتفض (فريد) واقفًا عندما اقترب (محسن) منه، وأكمل (محسن):

ـ «أليس لديك قصصًا أخرى لتحكيها؟ ربما قصص ساخرة أو شي من هذا القبيل، أنت ترى ما يعانيه هؤلاء الرجال، إن لديهم من المخاوف ما يكفي»

قال (فريد):

ـ «آسف يا زعيم، ولكنني لا أملك سوى القصص المرعبة، إن من عاش مثل حياتي لا يعرف معنى الضحك والسخرية»

قال (محسن):

ـ «يا لك من وغد بائس!»

ارتفع صوت أحد الحراس مناديًا (فريد)، ثم أكمل:

ـ «المدير يطلبك»

سار (فريد) معه حتى مكتب المدير، دخل فوجد المدير جالسًا خلف مكتبه وأمامه (يارا) و(طارق) يجلسان. أشار له المدير قائلًا:

ـ «كيف حالك يا (فريد)؟»

ـ «بخير يا سيدي، هل لي أن اسأل عن سبب استدعائي؟»

أشار المدير إلى (طارق) قائلًا:

ـ «هذا الرجل من الشرطة، لديه شي ليخبرك به»

قالها، وغادر الغرفة، فتطلع (فريد) إليهم متسائلًا، فقال (طارق):

ـ «نحتاج إلى مهاراتك الخاصة في مهمة سرية»

قال (فريد):

ـ «عن أية مهارات خاصة تتحدث!؟ أن لا أملك أيه مهارات خاصة!»

قالت (يارا):

ـ «اطمئن يا (فريد)، إنه بشأن المهمة التي أخبرتك عنها»

قال (فريد):

ـ «إذا كنت تثقين به، فأنا أثق به»

قال (طارق):

ـ «هل أنت متأكد أنك تستطيع القيام بالأمر؟»

قال (فريد):

ـ «وهل أنت متأكد أنك محقق؟»

قال (طارق):

ـ «لا داعي للتذاكي، فالأمر لا يحتمل»

قالت (يارا):

ـ «سيقوم (فريد) بما نريده، أليس كذلك يا (فريد)؟»

قال (فريد):

ـ «أريد أن أعرف تفاصيل المهمة أولًا، لقد أخبرتني فقط أنك تريدين مني أن أفحص جثة معينة، أخبرك بقاتلها، من هي القتيلة؟ ولماذا هي مهمة إلى هذه الدرجة؟»

قالت (يارا):

ـ «لقد أخبرتك سابقًا، لا شأن لك بأية تفاصيل، ستقوم بعملية الفحص وتخبرنا بالنتيجة، ثم تنسى كل شي عنها، ستنسى أنك رأيتنا ذات يوم»

قال (فريد):

ـ «كيف سنفعلها؟»

قال (طارق):

ـ «لقد قمت باستخراج أوراق تتيح لي إخراجك من السجن لفترة معينة للقيام بمهمة سرية»

فكر (فريد) للحظات، ثم قال:

ـ «يبدو أن الأمر هام للغاية، وإلا ما كنت لتأتي وتطلب مني المساعدة، إن الشرطة والنكرومانسر ليسوا أصدقاء، أريد تخفيض مدة عقوبتي مقابل هذه المهمة»

قالت (يارا):

ـ «أيها اللعين، لقد اتفقنا سابقًا!»

قال (فريد):

ـ «لقد كان هذا سابقًا، أما الآن والمحقق هنا فالوضع قد تغير»

قال (طارق):

ـ «لن يخصم يوم واحد من مدتك، وإذا لم تتوقف عن الهراء سأحرص على زيادة مدتك عدة سنوات أخرى»

قال (فريد):

ـ «لا يمكنك أن تفعلها»

قال (طارق):

ـ «هل أنت متأكد أنك تريد أن تتحداني؟»

خيم الصمت للحظات، حتى قطعه صوت ضحك (فريد) وهو يشير إلى (طارق) قائلًا:

ـ «يجب أن ترى النظرة على وجهك، لا تعبث هكذا يا رجل، كنت أمـزح معك، سأقوم بالعمـل بدون مقابل؛ فلا يوجد نكرومانسر يرفض

إضافة جديدة»

تطلع (فريد) من نافذة السيارة إلى الرجال الذين يقومون بحفر القبر، وقال:

ـ «رائع، لم أرَ هذا المنظر الجميل منذ سنوات»

لكمه (طارق) في كتفه قائلًا:

ـ «فلتصمت أيها الأحمق!»

قال (فريد):

ـ «فلتتركني أستمتع باللحظة»

قال (طارق):

ـ «يا لك من مريض سادي! أي شيء تستمتع به في هذا الجو الرهيب!؟»

قال (فريد):

ـ «لا يمكنك أن تفهم، إن الأمر أشبه بشرح كيف أن المانجو ثمرة رائعة لشخص لا يحبها، المسألة في اختلاف الأذواق»

قال (طارق):

ـ «اختلاف أذواق، أيها....»

قاطعته (يارا) قائلة:

ـ «فلتصمتا أنتما الاثنان، ألا تريان ما نحن فيه؟»

قال (فريد):

ـ «إذا كنت تكره الأمر إلى هذا الحد، لماذا أتيت معنا؟»

قال (طارق):

ـ «لم أكن لأتركك تبتعد عني، وأنت قد اشترطت أن تحضر عملية إخراج الجثة»

أشار (فريد) إلى القيد الإلكتروني المثبت على كاحله قائلًا:

ـ «لم يكن عليك القدوم؛ فلا يمكنني الذهاب لأي مكان مع هذا الشيء»

لم يعلق (طارق)، فعاد (فريد) يقول:

ـ «أتمني أن ينهمر المطر بغزارة، وأن يعوي الرعد، ويظهر البرق، إن هذا يعطي جوًا مذهلًا للموضوع، أذكر أنني جربته ذات مرة عندما...»

قاطعته (يارا) قائلة:

ـ «أتعرف؟ لقد أخبرناك أننا سنعيدك إلى السجن مرة أخرى، ولكننا لم نقل أننا سنعيدك سليمًا كما كنت بأسنانك الكاملة»

قال (فريد):

ـ «ماذا سيحدث لأسناني؟»

كور (طارق) قبضته، وحركها أمام وجهه قائلًا:

ـ «هذا»

عاد (فريد) يراقب القائمين بالعمل في صمت، كانا رجلين، (مروان)، ومعه مساعده الضخم الذي يشبه الثور، كان يتمنى أن ينزل من السيارة، ويشاركهم في عملية الحفر، ولكن (طارق) رفض رفضًا قاطعًا، أقصى ما استطاع الحصول عليه هو المراقبة من هذه النقطة البعيدة، دون أن يعرف الذين يحفرون من الموجودون في السيارة، يعرفون (يارا) فقط»

رأى العرق يلمع على أجساد الرجال نتيجة الحفر، شعر بالإثارة تغزو جسده، يا له من شعور رائع! كم يفتقده! التفت إلى الداخل، ثم قال:

ـ «هل تريدان أن تسمعا قصة مرعبة؟»

قالت (يارا):

ـ «لا»

قال (فريد):

ـ «ذات مرة كان هناك نباش يسرق القبور، كان على وشك استخراج التابوت من الأرض عندما سمع صوت طرقات خافته، تلفت حوله ولكنه لم يرَ شيئًا، ثم انتبه إلى الحقيقة، فالطرقات كانت قادمة من داخل التابوت»

قال (طارق):

ـ «وماذا حدث بعدها؟»

قال (فريد):

ـ «لا أعرف، القصة تنتهي عند هذا الحد»

عاد (طارق) يكور قبضته أمام وجهه، فعاود (فريد) النظر إلى الخارج، وتخيل نفسه هناك معهم، يشعر بملمس الرفش بين يديه، يضرب به الأرض الصلبة التي لم تُلْمَس منذ سنوات، إن شعوره يشبه شعور المكتشف الذي يوشك أن يفتح مقبرة جديدة، إن هذا الأحمق (طارق) لا يفهم، إن متعة النكرومانسي ليست في القيام بالعملية فحسب، ولكن في كل التفاصيل الدقيقة التي تتضمنها.

أغمض عينيه، وسبح في أفكاره؛ إنه يشعر بالحماسة الشديدة؛ فقد مرت فترة طويلة منذ مارس هوايته المفضلة، بالطبع لا يحسب زوجة (محسن)، هذه لم تكن عملية يمكن أن يقوم بها في الظروف العادية، إنه فنان يقوم بعمله، وليس غرابًا يتغذى على البقايا، ولكنه كان يتعرض للمضايقات في السجن نتيجة لضعف بنيته، ويحتاج إلى الحماية.

توصل للحل سريعًا؛ إذا كان يريد أن ينجو فعليه أن يدخل في حماية أحد السادة الحقيقيين للسجن، جمع كل ما أمكنه من المعلومات عنهم، عرف قصة (محسن) فعرف أنه المنشود، بقيت أمامه أهم خطوة وهي كيف يقترب من (محسن)، ويقنعه أنه يستطيع فعلها، فلا يمكن للمرء أن يقترب من رجل العصابات، ويخبره أن يحضر له أجزاء من جسد زوجته ليأكلها دون أن يغامر بفقدان رأسه.

استغرقه الأمر ثلاثة أشهر، وعدد كبير من اللكمات والركلات، حتى نجح أخيراً في الانفراد بـ(محسن)، وأخبره عن نفسه، وبما يستطيع أن يفعله، ولم يزد شيئًا على هذا، ترك له الخطوة القادمة، مر شهر كامل

حتى ملأ اليأس قلبه، ولكنه فوجئ بـ(محسن) يطلبه بعدها، ذهب إليه فقال له:

ـ «هل تستطيع أن تقوم بما أخبرتني به؟»

ـ «نعم، يمكنني فعله».

ـ «إذا كنت تخدعني سوف أسلخك حيًا!»

قال (فريد):

ـ «لا يمكنني مجرد التفكير في خداعك»

لم يعرف كيف فعلها (محسن)، ولم يجرؤ أن يسأل، ولكنه فوجئ به يدعوه ذات يوم إلى زنزانته، ويخبره أنه قد أحضر الأجزاء المطلوبة من جسد زوجته، ناوله لفافة صغيرة قائلًا:

ـ «قم بعملك اللعين، وأخبرني باسم الحقير الذي فعلها، ولا تخبرني بأي تفاصيل أخرى»

استغرق الأمر ساعة، ثم خرج، ومعه ورقة تحمل رسمًا لشخص وناولها له قائلًا:

ـ «هذا هو الشخص الذي قتل زوجتك»

لم يتحدث إليه (محسن) ليومين تاليين، ظهر في اليوم الثالث ليخبره أنه قد أصبح ضمن طاقمه، وأنه لن يجرؤ أحد على التعرض له بعد اليوم، تمنى (فريد) لو يرقص طربًا في تلك اللحظة، ولكنه تماسك، وقال:

ـ «شكرًا لك يا زعيم»

تغير الوضع تمامًا بعدها، ولم تكف المضايقات فحسب، بل أصبح المساجين يخشونه، حتى أن بعضهم قد بدأ يتقرب منه ويحاول نيل رضاه، حاول الكثيرون معرفة السبب الذي جعل (محسن) يفرض حمايته عليه، ولكنهم فشلوا؛ فقد أخبره (محسن) أنه سينتزع لسانه لو تكلم به، إنه لا يريد أن تصبح شهرته (الرجل الذي أكل أحدهم جسد زوجته)، صادف الأمر هوى (فريد)؛ فهو أيضًا لم يكن يريد للأمر أن ينتشر، ليس لأنه يخجل من كونه نكرومانسر، ولكن لأن الناس بعقولهم القاصرة لا يمكنهم أن يفهموا روعة الأمر.

لم يخبر أي شخص باستثناء زميله في الزنزانة لعلاقة الصداقة القوية بينهما، وقد هاج وماج وغضب كثيرًا عندما عرف أن زميله أخبر صحفية تدعى (يارا) عنه، وهدده بأن سيجعل (محسن) ينتزع عينيه، اعتذر له زميله كثيرًا، وعندما هدأ طلب أن يقابل هذه الصحفية، وبالفعل جهز زميله لقاء معها في الزيارة التالية.

دخل اللقاء عدوانيًا متحفزًا، ولكنه لم يلبث أن غير رأيه تمامًا عندما تحدث معها، حتى أنه قال لها في نهاية اللقاء:

ـ «أنت رائعة يا (يارا)، أتمني أن أتمكن من أكل جسدك ذات يوم»

تطلعت إليه (يارا) للحظات، ظن خلالها أنها ستنفجر فيه، ولكنه فوجئ بها تبتسم قائلة:

ـ «هذا هو أجمل شيء قاله لي أحدهم على الإطلاق»

تعددت الزيارات بعدها، حكى لها خلالها الكثير عن حياته، ونشأته، وعائلته، وأخبرها برغبته في الانتقال إلى سجن مدينة (....) ليكون قريبًا

من منزله حتى تتمكن والدته القعيدة من زيارته، حاولت (يارا) مساعدته ولكنها لم تستطع، حكى لها عن النكرومانسي، كانت مختلفة في استماعها، لم تكن تشمئز منه كما يفعل للكثيرين، ولم تطلب هي تفاصيل كثيرة كما يفعل البعض، كانت تترك له الحرية ليقول ما يريد وقت ما يريد، قال لها:

ـ «لا أعرف لماذا ينظر الناس بغرابة واشمئزاز إلى النكرومانسر، إنني لا أعتبر نفسي ساحرًا، بل أنا طالب مهووس بالعلم مع اختلاف بسيط في مصادري لتلقي العلم، إن الكتب التي أعشقها هي كتب من لحم ودم بدلًا من ورق وحبر»

رأى الدهشة تعلو وجهها، فأكمل:

ـ «إن الإنسان مثل الكتاب لديه الكثير من المعلومات، وأنا أقرأ هذه المعلومات، وكما تتنوع الكتب يتنوع البشر أيضًا، فكما يوجد الكتاب المثير والممل، الغني بالمعلومات والتافه الذي لا يستحق الحبر الذي كتب به، يوجد أيضًا بشر مثيرون وبشر مملون، مثقفون وجهلاء، عظماء وتافهون، وهناك الكثير والكثير من الأفكار الغريبة والشاذة»

وصمت لحظة، ثم أكمل:

ـ «وكما يقولون لا تحكم على كتاب من غلافه، لا تحكم أيضًا على بشر من مظهره. لا يمكنني أن أخبرك كم مرة وجدت ضمائر البشر عكس ما يبطنون تمامًا»

حكت له هي الأخرى بعض الأشياء عن نفسها، وحكت له عن علاقة الصداقة التي تربطها مع القاتل الشبح منذ أن تم القبض عليه، وأنها

تحرص على زيارته دائمًا، وتتبادل معه الخطابات، وهو الذي قدمها إلى عالم الجريمة وساهم في تكوين شبكة علاقاتها الكبيرة مع المجرمين المسجونين معه، وداخل سجون أخرى أيضًا في مختلف أنحاء المملكة، بل وحتى خارج المملكة، قال (فريد):

ـ «شكرًا لك أيها القاتل الشبح، عسى روحك أن تجد العذاب الأبدي!»

ـ «ماذا؟»

ـ «لا أنكر أنني شاكر له كونه السبب في تعريفي لك، ولكن هذا لا ينفي كونه قاتلًا، لا يمكنني أن أتمنى لروحه السلام»

رأى الرجال وقد انتهوا من الحفر، وبدؤوا إخراج التابوت خارج الحفرة. تمنى لو يفتح الباب، ويقفز ليشاركهم هذه اللحظات، ولكنه صرف فكره سريعًا؛ إنه لا يضمن ردة فعل (طارق)، وعلى كل حال لم يبقَ إلا القليل، ويحصل على ما يريد.

فتح الرجال التابوت، ثم نقلوا الجثة إلى داخل صندوق آخر، ووضعوه في السيارة، ثم انطلقوا، فانطلق (طارق) بالسيارة خلفهم، قال (فريد):

ـ «كيف سندخل بالجثة إلى شقتك دون أن يلاحظ أحد؟»

قالت (يارا):

ـ «لقد قمت باستئجار شقة جديدة في منطقة منعزلة، لا يوجد حولها إلا منازل قليلة جدًا، أغلبها غير مسكون، وقد قمت بنقل عدد من الصناديق الشبيهة بهذا إلى الداخل أمام الجيران، وأخبرتهم أنها تحتوي على أشيائي الخاصة»

قال (فريد):

ـ «يا لك من عبقرية! لقد فكرت في كل شي»

قالت (يارا):

ـ «كما أن هذه الشقة محكمة الإغلاق، وسيتم سجنك فيها طوال فترة المهمة، وسيتم وضع موقعها في جهاز التتبع المثبت في ساقك بحيث يطلق صفارة الإنذار بمجرد ما تغادر الباب»

قال (طارق):

ـ «ولن يسرك ما ستجده وقتها»

قال (فريد):

ـ «صدقني لن أحاول فعلها»

وصل الثلاثة إلى الشقة، كانت في الطابق السفلي من بناية من طابقين، الطابق العلوي غير مسكون، دخل الثلاثة إلى الشقة، كانت متوسطة الحجم عبارة عن صالة كبيرة، وثلاثة غرف، ومفروشة بأثاث بسيط. دقائق ثم وصل (مروان)، اختفى (طارق) في الداخل قبل وصوله، وتعاون الأول مع مساعده على إدخال الصندوق لداخل إحدى الغرف، ثم قال مواجهًا اللاشيء:

ـ «أريد فقط القول أنني لست نبّاش قبور، إنني أفعل هذا من أجل السيدة (يارا)؛ فأنا مدين لها بشدة»

قالت (يارا):

ـ «شكرًا لك يا (مروان)، إنني أقدر ذلك»

قال (فريد):

ـ «وأنا أيضًا أقدر ذلك، لابد أنك شخص حلو المذاق»

تطلع إليه (مروان)، فقالت (يارا):

ـ «لا تأبه به، إنه مجنون»

غادر (مروان) قائلًا:

ـ «سأعود بعد ساعتين كما اتفقنا، لأعيد كل شيء إلى مكانه»

خرج (طارق) من الغرفة، تطلع إلى (فريد) قائلًا:

ـ «والآن، فلتقم بعملك»

تحرك (فريد) نحو الغرفة التي تحوي الصندوق، فتح بابها ودخل، تطلع إلى التابوت الموضوع في ركن الغرفة الخالية من الأثاث، همّ بإغلاق الباب، ولكنه فوجئ بـ(طارق) يدفعه داخلًا، فقال:

ـ «ماذا تفعل؟»

ـ «سأكون معك أثناء قيامك بها»

دفعه (فريد) للخارج قائلًا:

ـ «مستحيل! إن القاعدة الأساسية هي (لا أحد يراقب النكرومانسر أثناء القيام بعمله)؛ فالروح لن تتحدث في مع النكرومانسر في وجود روح أخرى تراقبهما»

قال (طارق):

ـ «لا أهتم بقواعدك، سأكون معك»

قال (فريد):

ـ «حسنًا، يمكنك البقاء، ولكن بشرط أن تأكل معي»

ـ «هل أنت مجنون؟»

ـ «هذه هي الطريقة الوحيدة»

همَّ (طارق) بالاعتراض، فقال (فريد):

ـ «هل تريدني أن أنتهي من هذا الأمر أم لا؟»

قال (طارق):

ـ «ولكن...»

ظهرت (يارا) في تلك اللحظة على باب الغرفة، وقالت:

ـ «دعه يفعلها على طريقته. المهم أن ننتهي سريعًا»

تراجع (طارق) للخلف، وأشار إلى عينيه بإصبعيه قائلًا:

ـ «حسنًا، ولكن تذكر أنني أراقبك»

أشار (فريد) إلى عينيه مقلدًا (طارق)، وقال:

ـ «ربما أحصل على هذين العينين ذات يوم»

زفر (طارق) دخان سيجارته بقوة، وهو يتطلع إلى الشاشة الصغيرة التي تنقل إليه صورة رجل جالس على مقعد معدني، وأمامه منضدة صغيرة ومقعد آخر، كانت الغرفة تشبه غرف الاستجواب الحكومي بالضبط، همس (طارق) لنفسه:

ـ «لقد قامت (يارا) بإعداد كل شي بدقة مذهلة»

كان التوتر يبدو جليًا على وجه الرجل، وهو يتحرك على المقعد بعصبية شديدة، يتطلع إلى الصور الموضوعة على المنضدة أمامه، والتي تمثل ضحايا (الزهرة الحمراء)، ثم يعاود التطلع إلى السقف، والدموع متحجرة على مقلتيه، ويتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة، قالت (يارا):

ـ «ما رأيك؟»

قال (طارق):

ـ «إنه بارع جدًا، لولا أننا نملك دليلًا قويًا لصدقته»

قالت (يارا):

ـ «أنا واثقة أن (مروان) سينتزع الاعتراف منه»

مضت دقائق قليلة، ثم دخل (مروان) إلى الغرفة، وعاد يستجوب الرجل الذي قال:

ـ «أنا لم أفعلها، أنا لست (الزهرة الحمراء)، ولا أعرف أي شي»

ومضت لحظة، ثم قال:

ـ «أريد أن أتصل بمحامي الخاص، أريد أن أعرف منذ متى تخطف الشرطة المواطنين من الشارع وتحضرهم معصوبي الأعين للاستجواب؟»

قال (مروان):

ـ «تريد محاميك الخاص؟ وتريدنا أن نراعي حقوقك كمواطن؟ حسنًا، يبدو هذا عادلًا»

قالها وأمسك المنضدة الفاصلة بينهما، ودفعها لتصطدم بالحائط، ثم انقض على الرجل، وأمسكه من ثيابه، ثم جذبه ليقف، ودفعه حتى اصطدم بالحائط، وقال:

ـ «اسمعني جيدًا أيها اللعين، هل تظن أن أحدًا يبالي بحقوقك اللعينة، هل تظن أن هذه قضية عادية ليتم معاملتك معاملة عادية، سأقوم بسلخك حيًا لو تطلب الأمر، ثم أطعم جثتك للكلاب الجائعة، ولن يلومني أحد على ذلك، بل سيصفقون مهنئين، والآن أخبرني أين هي الأميرة؟»

لم يتكلم الرجل، انهمرت دموعه، فقال (مروان):

ـ «اسمعني جيدًا أيها اللعين، كل محاولاتك هذه لن تأتي بفائدة؛ فنحن لدينا دليل قوي أنك (الزهرة الحمراء)، وفرصتك الوحيدة الآن لتنجو من الإعدام هي أن تخبرنا مكان الأميرة»

قال الرجل:

ـ «أنا لا أعرف شيئًا!»

شدد (مروان) الخناق على عنقه، وقال:

ـ «هل تظن أن هذه مزحة؟ هل تظن أنه يمكنك الهرب من هذا؟ لا، لقد انتهى الأمر بالنسبة لك. ولكن على الأقل فكر في عائلتك، هل تعرف ماذا سيحدث لهم إذا حدث أدنى ضرر للأميرة؟ كيف ستكون حياتهم بعد أن يعلم الجميع أن والدهم هو عدو الشعب الأول؟ سيطاردهم الجميع في كل مكان، وهل تعرف ماذا؟ لن يمكننا حمايتهم طوال الوقت، ربما يصل بعضهم إليهم، ويمكنك تصور ما سيفعله محبو الأميرة بهم»

قال الرجل:

ـ «ولكنني لم أفعلها، لم أفعلها! أنا لم أقتل أحدًا ولم أخطف الأميرة!»

قال (مروان):

ـ «لن تخدع أحدًا بهذا الأداء أيها (الزهرة الحمراء)!»

تمنى (طارق) في هذه اللحظة لو يمكنه الدخول، واستجواب هذا الرجل بنفسه، إن (مروان) يستجوبه منذ أكثر من ثلاث ساعات، ولم يحصل منه على أية نتيجة، ولكن لا يمكنه المغامرة بالظهور في المشهد، يجب أن يبقى بعيدًا؛ فهو لا يريد أن يتعرف عليه أحد، خاصة المجرم، حتى لا يذكر أي شيء عنه عندما تبدأ التحقيقات الحقيقية.

تم إحضار الرجل بناء على الصورة التي رسمها (فريد)، قام (طارق) باستخدام قاعدة بيانات الوحدة (بي_6) حتى عثر على صاحب الصورة، شعر بالدهشة الشديدة لحظتها؛ فالمشتبه به كان مدرس تاريخ

متقاعد يدعى (منصور الوكيل)، كان هذا آخر شيء يتوقعه (طارق)؛ لم يكن لديه تخمين معين، ولكنه لم يتوقع أبدًا أن يكون مدرس تاريخ متقاعد!

تم الاتصال مع (مروان)، وترتيب إحضار الرجل بسرية تامة، وبطريقة نظيفة إلى غرفة الاستجواب المعدة في شقة (يارا). تعتمد الخطة على انتزاع الاعتراف منه، ثم تقديمه للشرطة بطريقة عكسية، تخمينه أن القاتل لن يكون لديه شيء يقوله عن هذا الاستجواب، وحتى لو تكلم فمن سيصدق قصته عن شخص غامض اختطفه، وادعى أنه من جهاز أمني خاص، ثم قام باستجوابه، حتى اعترف منه أنه القاتل، وحتى إذا صدق أحدهم القصة فلن يهتم أحد بالبحث، سيكون لديهم (قاتل الزهرة الحمراء)، والأميرة (سارة)، وليذهب الباقي إلى الجحيم. ولكن الآن ظهرت مشكلة لم تكن متوقعة، إنهم لا يستطيعون الحصول على الاعتراف منه.

لقد جرب (مروان) مختلف طرق الاستجواب معه، وبطريقة أفضل من رجال الشرطة أنفسهم، والرجل لا ينكسر أبدًا، بل يصر على أنه لا يعرف شيئًا عن الأمر، وأنهم مخطئون. إنه يصر على أقواله بطريقة تجعل (طارق) يفكر، إما أن هذا الشخص ممثل بارع يسيطر على انفعالاته بطريقة مبهرة، بحيث لا تظهر منه لمحة واحدة تشير إلى كذبه، أو أن الرجل بريء.

هز رأسه نافيًا، لا، لا يمكن أن يكون بريئًا، إنه (الزهرة الحمراء) الحقيقي، وكل ما عليهم هو أن يضغطوا عليه قليلًا وسينكسر. تطلع (طارق) إلى الشاشة، كان الرجل يبكي، و(مروان) يواجهه بصور الضحايا

قائلًا:

ـ «انظر إلى ما فعلت، كل هؤلاء الأشخاص لم يستحقوا ما فعلت»

غطى الرجل وجهه بيديه، وبدأ يبكي قائلًا:

ـ «أنا لم أفعلها، أنا لست (الزهرة الحمراء)، أنا لا أعرف شيئًا، أقسم لكم أنني لا أعرف أي شيء»

استمر الاستجواب لنصف ساعة أخرى، لم يتمكن (مروان) خلالها من الحصول على أي شيٍ فغادر الغرفة، وخرجت (يارا) لمقابلته، وبقي (طارق) يراقبه هامسًا:

ـ «لماذا لا تعترف، وتنهي الأمر أيها اللعين؟»

مضت عدة دقائق، ثم دخلت (يارا) قائلة:

ـ «يقول (مروان) أنه قد حاول كل شي، والرجل يرفض الانكسار، يقول أنه قد بقيت طريقة واحدة لاستجوابه»

ـ «ما هي؟»

ـ «أن نقوم بتعذيبه للحصول...»

قاطعها (طارق) قائلًا:

ـ «لا، وألف لا، أخبري كلبك الأليف أننا لن نعذب أحدًا، وهذا القول نهائي»

ـ «لقد توقعت أن تقول هذا، يقول (مروان) أنه سيستريح قليلًا، ثم يحاول ثانية»

ـ «سيحاول، ولن يصل إلى أي شيء»

ـ «ليس لدينا حل آخر»

خيم الصمت لدقيقة، حتى قال (طارق):

ـ «سأستجوبه بنفسي»

ـ «ماذا!؟ لا يمكنك أن تفعلها»

ـ «إنه الحل الوحيد، وإلا فلن نصل إلى أي شيء»

ـ «ولكن بهذه الطريقة سيتعرف عليك، ولن يمكننا منعه من التحدث»

ـ «لنأمل أن سعادة الجميع بإنقاذ الأميرة ستجعلهم يتجاهلون ما يقوله»

قالها، وتحرك للخارج حتى غرفة الرجل، فتح الباب، وداخل فتطلع إليه الرجل قائلًا:

ـ «أنا لست من تظنونه، أن لا أعرف أي شيء»

تناول (طارق) المنضدة وأعادها إلى مكانها أمام الرجل، ثم جمع الصور ووضعها أمام الرجل، ثم جلس على المقعد المقابل له قائلًا:

ـ «انظر إلى هذه الصور»

قال الرجل:

ـ «أنا لم أفعل شيئًا»

ـ «فقط انظر إلى هذه الصور، وأخبرني بما ترى»

قالها، وفرق الصور أمام الرجل، وأشار إلى الأولى قائلًا:

ـ «(مفيدة وجدي)، ربة منزل تم العثور على جثتها في الحديقة منذ خمسة أعوام، يوم الثالث من أكتوبر»

استمر (طارق) يذكر بقية أسماء الضحايا، وتواريخ العثور عليهم حتى قال:

ـ «(هاني محمد)، تم العثور على جثته يوم 13 مايو، كانت الجثة ملقاة أمام المصنع الذي كان يعمل به....»

قاطعه الرجل قائلًا:

ـ «أعد ما قلت»

ـ «ماذا؟»

ـ «أعد ما ذكرته منذ لحظات»

ـ «(هاني محمد)، تم العثور على جثته أمام المحل في شارع...»

قاطعه الرجل قائلًا:

ـ «لا، ما ذكرته عن تاريخ العثور على الجثة، قلت أنه الـ(13) من مايو. أليس كذلك؟»

ـ «نعم، ماذا هناك؟»

ـ «هذا هو دليل براءتي، يستحيل أن أكون قد فعلتها، لقد كنت في مستشفى الأمل، لقد صدمتني سيارة يوم 15 أبريل وظللت محتجزاً في المستشفى لثلاثة أشهر، كنت معرضًا لكسور شديدة يستحيل معها

أن أتحرك، لقد أخبرتك من البداية، أنا لم أفعل شيئًا»

تطلع (طارق) إلى الرجل في صمت، يقلب الأمر في رأسه، ماذا يقول هذا الرجل، واصل الرجل:

ـ «يمكنك مراجعة سجلات المستشفى بسهولة، ستعرف أنني بريء»

نهض (طارق)، وغادر الغرفة سريعًا، ما الذي يحدث؟ يحتاج إلى ترتيب أفكاره بعيدًا عن صراخ هذا الرجل، خرج إلى الغرفة المجاورة، استقبلته (يارا) قائلة:

ـ «ماذا ستفعل؟»

ـ «لا أعرف، ولكن إحساسي وخبرتي يقولان أنه صادق»

ـ «وكيف هذا؟ لا يمكن أن يكون بريئًا، لقد كان هو من رأته المرأة قبل موتها»

ـ «أريدك أن تطلبي من (مروان) أن يستخدم اتصالاته ويتحرى الأمر، أريده أن يستخدم كل السبل المتاحة، وحتى أن يسأل معارف الرجل عن قصة الحادث هذا، وبعدها سنقرر ماذا نفعل، أخبريه أننا نحتاج هذه المعلومات بأقصى سرعة ممكنة»

خرجت (يارا) من الغرفة. بقي (طارق) وحيدًا، الرجل صادق، إن لديه خبرة كبيرة في التحقيقات تمكنه من تمييز الكذب، ومعرفة الممثلين مهما برعوا في أدائهم، أما هذا فصادق، لا أحد يمثل بهذه الطريقة، ولكن كيف هذا؟ كيف يكون صادقًا؟ وفي نفس الوقت هو آخر من رأته الضحية، لا يمكن أن يجتمع الضدان، إذا هناك أمر خاطئ.

مضت ساعتان، وهو غارق في أفكاره حتى جاءته (يارا) تحمل عددًا من الأوراق قائلة:

ـ «قصة الرجل صحيحة تمامًا، لقد تحقق (مروان) من سجلات المستشفى، ومن بعض معارفه، كما أن الجريدة المحلية قد كتبت عن الحادث وقتها، لا يوجد أدنى احتمال أن القصة ملفقة»

همس (طارق):

ـ «إذًا فقد فعلها اللعين»

ـ «ماذا؟»

لم يعلق (طارق)، غادر الغرفة مسرعًا، فأسرعت (يارا) خلفه، وذهب إلى الغرفة الأخرى، دفع بابها بعنف، رأى (فريد) جالسًا على أحد المقاعد، قال (فريد):

ـ «هل تريد أن تسمع...»

ابتلع باقي عبارته عندما انفجرت قبضة (طارق) في منتصف وجهه فألقته من فوق المقعد، ثم انقض عليه وأمسكه من ثيابه ورفعه ليقف في مواجهته، ثم دفعه ليلتصق بالحائط قائلًا:

ـ «هل تظن أن هذه مزحة؟»

حاولت (يارا) تخليص (فريد) من يده، ولكن (طارق) دفعها بعيدًا والتفت إلى (فريد) مكررًا:

ـ «هل تظن أن هذه مزحة؟»

قال (فريد):

ـ «لا أعرف عما تتحدث!»

قال (طارق):

ـ «عن القاتل الوهمي الذي سلمته لنا، هل تظن أنه يمكنك العبث معي؟»

قال (فريد):

ـ «أي قاتل وهمي!؟»

جذبت (يارا) يد (طارق) قائلة:

ـ «فلتهدأ يا (طارق)، لابد من وجود حل آخر»

قالت (طارق):

ـ «نعم، هذا اللعين يخدعنا»

قال (فريد):

ـ «أنا لم أفعل شيئًا، لقد قمت بعملي، ورسمت لك صورة القاتل كما رأيته»

قال (طارق):

ـ «والرجل الذي رسمت صورته تبين أنه بريء، لا يمكن أن يكون هو القاتل»

قال (فريد):

ـ «مستحيل، لقد رأيت وجهه»

قالها، وصمت للحظات، ثم قال:

ـ «هل أنت متأكد أنك قبضت على الرجل الصحيح؟ ربما قبضت على شخص يشبهه»

قال (طارق):

ـ «لقد فكرت في هذا الاحتمال، ولكن لا، هذا هو الشخص الذي رسمته بنفسك، لقد استخدمت برنامج تحديد الوجوه في الوحدة (بي_6) وهو برنامج يتعرف على الوجوه بدقة تصل إلى 99%، وقد أحضرت الرجل، ثم اتضح أنه بريء، فكيف يمكنك تفسير هذا؟»

قالت (يارا):

ـ «لابد أن هناك خطأ ما»

قال (طارق):

ـ «ليس خطأ، ولكن هذا اللعين زودنا بمعلومات خاطئة، هو من أرسلنا خلف الشخص الخطأ»

قال (فريد):

ـ «أقسم لك أنه الشخص الصحيح، لقد رأيت وجهه»

قال (طارق):

ـ «ماذا رأيت بالضبط؟»

قال (فريد):

ـ «لقد أخبرتك من قبل بكل شيء»

قفز (طارق) نحوه، لولا أن (يارا) أمسكته، فأشار نحوه قائلًا:

ـ «لا تجادلني أيها اللعين، أجبني مباشرة!»

قال (فريد):

ـ «هذا القاتل يحتفظ بضحيته في غرفة في منزل صغير، إنه لا يقيدها بل يتحكم في تصرفاتها عن طريق طوق يحيط بعنق الضحية يمكنه من خلاله تتبع حركتها كما يمكنه صعق الضحية عندما يريد بشدة متفاوتة على حسب رغبته، يجلس القاتل مع الضحية ويتحدث معها أحيانًا في موضوعات عامة، ويسألها إذا كانت تحتاج شيئًا، يقدم لها الطعام والشراب في أوقات معينة، وإذا رفضت الضحية أي شيء يقوم بصعقها، وفي النهاية ماتت الضحية نتيجة السم الذي دسه في طعام الغداء. لقد كان لدي الضحية الوقت الكافي لترى وجهه كثيراً، وهو نفس الوجه الذي رسمته لك»

قال (طارق):

ـ «وهذا الشخص بريء، فكيف هذا؟»

قال (فريد):

ـ «لا أعرف، ولكن هذا الشخص هو من رأته الضحية. أنا أخبرك الحقيقة»

قالت (يارا):

ـ «لابد من وجود تفسير آخر»

جلس (طارق) على أحد المقاعد قائلًا:

ـ «إذا كان هذا هو الرجل الذي رأته الضحية، ولكنه ليس القاتل فكيف هذا؟»

قالت (فريد):

ـ «ربما زوّر الدليل الذي تظنونه حقيقيًا»

قال (طارق):

ـ «الدليل صحيح، لقد تأكدنا»

قالها، وصمت لحظة ثم قال:

ـ «إذا كنت تقول أنك متأكد أن هذا هو القاتل الذي رأته الضحية، وهذا الرجل لديه حجة قوية أنه كان في الخارج، فهذا يعني أن ما رأته الضحية كان خطأ، ولكن كيف؟ كيف تم خداع الضحية؟»

قالت (يارا):

ـ «لقد قام القاتل الحقيقي بتغيير شكله، ربما ارتدى قناعًا أو شيئًا من هذا القبيل»

قال (طارق):

ـ «ولكن السؤال هو لماذا؟ لماذا يقوم بتغيير شكله؟»

قال (فريد):

ـ «حتى يلفق الجريمة لشخص آخر، لهذا الرجل»

قال (طارق):

ـ «وكيف له أن يعلم أننا سنستعين بنكرومانسر أيها الأحمق؟ هذا الاحتمال سخيف للغاية»

قالت (يارا):

ـ «ربما أراد أن يخفي هويته حتى لا يتعرف عليه أحد في حالة هروب الضحية مثلًا»

قال (طارق):

ـ «إذا كنت قاتل، ولديك ضحية مختطفة فإنك تقوم بتأمين المكان جيدًا، وليس تغيير شكلك، وإذا كنت تريد تلفيق الجريمة لشخص آخر فالمنطقي أن تترك لها طريقًا للهروب، حتى تبلغ عن الشخص الآخر، لا أنا تقتلها، وتنهي الأمر»

قال (فريد):

ـ «ربما...»

قاطعه (طارق) قائلًا:

ـ «حسنًا، أعتقد أننا لن نصل إلى إجابة هذا السؤال، لذلك فلنحاول الإجابة على سؤال آخر له نفس الأهمية، وربما يساعدنا في الوصول للقاتل، بغض النظر عن دوافع القاتل لتقمص هذا الشخص فلماذا؟ لماذا هذا الشخص؟ وما هي علاقته بالقاتل؟»

قالت (يارا):

ـ «هذا سؤال مهم بالفعل»

قال (طارق):

ـ «وبالطبع ليس لدى أحدكما أية اقتراحات»

قالها ونهض من مكانه قائلًا:

ـ «سأذهب للتحدث مع المشتبه فيه ثانية»

سار حتى غرفة الاستجواب. قال الرجل:

ـ «هل تحققتم مما قلت؟ لقد عرفتم أنني لست الفاعل، أليس كذلك؟»

تطلع إليه (طارق) للحظات، ثم قال:

ـ «هل لديك أعداء؟»

ـ «ماذا؟»

ـ «أعداء يكرهونك، ويحاولون تدميرك بكل الطرق، أريدك أن تفكر في أكثر شخص يكرهك في هذا العالم؟»

مرت لحظات من الصمت، ثم قال الرجل:

ـ «ليس لدي شخص كذلك، لا اعتقد أن هناك من يكرهني إلى هذه الدرجة»

ـ «ولكنه هناك بالفعل، هناك شخص يبذل كل جهده ليجعلك (الزهرة الحمراء)»

صمت الرجل لدقيقة، ثم قال:

ـ «لا أعرف، لو كان هذا الشخص موجودًا فأنا لا أعرفه»

ـ «فكر جيدًا، أية معلومة تقولها يمكن أن تساعدنا»

ـ «لا يوجد، إنني مجرد مدرس تاريخ قديم، أكثر مشكلة عانيتها في حياتي كانت مع بواب العمارة بسبب تأخري في دفع المال له»

خرج (طارق) لدقائق، ثم عاد وجلس أمام الرجل ومد إليه مجموعة من الأوراق قائلًا:

ـ «أنت تريد أن تعود إلى منزلك وأسرتك الآن، أليس كذلك؟ وقع هنا وسنتركك تذهب»

قال الرجل:

ـ «ما هذا؟»

ـ «هذه اتفاقية عدم الكشف، تتضمن منك أن تبقي كل ما حدث هنا سرًا، وإلا فانك ستواجه تهمة الخيانة العظمى، وسيتم إعدامك دون محاكمة»

ـ «وإذا رفضت التوقيع؟»

تراجع (طارق) في مقعده قائلًا:

ـ «أنت رجل ذكي يا سيدي، وتعرف أن هذه قضية خاصة جدًا، هل تريد أن تخرج وتعلن للجميع أنك كنت قيد التحقيق؟ أن الحكومة تظنك (الزهرة الحمراء)؟ هل فكرت في تأثير هذا على عائلتك؟ هل فكرت في تأثيره على الجماهير في الخارج؟ إنهم يبحثون عن شخص ليلقوا اللوم عليه بسبب اختفاء الأميرة، ماذا تظنهم سيفعلون معك؟ هل تظن أنك ستكون سالمًا أنت وعائلتك؟ يمكنك أنت تتخيل ما سيحدث»

قالها، وصمت لحظات، ثم قال:

ـ «أنت رجل ذكي يا سيدي وتعرف أن هذه قضية خاصة، ولها تعاملات خاصة، وفي حالة رفضك التوقيع سيتم نقلك إلى أحد السجون الخاصة، حيث لن ترى الشمس مرة أخرى، هل هذا ما تريده؟»

خيم الصمت للحظات. نهض (طارق)، وسار خطوتين قائلًا:

ـ «سأتصل بفريق النقل»

قال الرجل:

ـ «انتظر، انتظر، سأوقع، أنا لا أريد أي مشاكل. أرجوك، فقط دعني أذهب، وسأنسى كل شيء»

عاد (طارق)، ووضع الاتفاقية أمام الرجل الذي وقعها قائلًا:

ـ «أتمنى أن تصلوا إلى القاتل الحقيقي، وتنقذوا الأميرة سريعًا»

تناول (طارق) الأوراق قائلًا:

ـ «سيأتي الرجال لإعادتك إلى مكانك»

قالها، وغادر الغرفة سريعًا. ذهب إلى غرفة المجاورة، وجد (يارا) واقفة تراقب الرجل، قالت:

ـ «هل تظن أنه سيصمت؟»

قال (طارق):

ـ «أنا متأكد أنه سيصمت، إنه رجل صالح، يريد فقط أن يعيش حياته في سلام. اطلبي من (مروان) أن يعيده كما أحضره، واطلبي منه أن

يعين رجلًا لمراقبته، أريد أن أعرف عدد أنفاسه»

ـ «هل ما زلت تشك به؟»

ـ «الأمر معقد، لذلك لا أريد أن أترك شيئًا للظروف»

ـ «أنت محق»

قالتها، وانصرفت للخارج. وبقي (طارق) يراقب الرجل، ما هذه القضية المعقدة!؟ كلما ظن أنه تقدم خطوة، اتضح أنه قد ابتعد عشرة، من هو هذا (الزهرة الحمراء)؟ وكيف يفعل هذا؟ هل حقًا تحسّب الرجل لكل شي، حتى أنه قد وضع احتمال استعانة الحكومة بنكرومانسر؟ كيف يمكنهم أن يقبضوا على شخص وصل إلى هذه الدرجة من الحرص!؟

لقد قام بخطوة كبيرة كان يظنها ستنهي الأمر، ولكنها لم تضف شيئًا، بل فتحت الباب أمام المزيد من الأسئلة، لماذا هذا الرجل؟ وما علاقته بالقاتل؟ هل هو القاتل، ونجح بالفعل في خداعهم؟ لا، لا يمكن هذا. إذًا فلماذا هذا الرجل؟ لا توجد أية أرض صلبة ليقف عليها في هذه القضية.

غادر الغرفة، وسار نحو الغرفة الأخرى، وجد (يارا) تتحدث مع (فريد)، قالت (يارا):

ـ «ماذا سنفعل؟»

قال (فريد):

ـ «لقد قمت بمهمتي. أنت ستنفذ اتفاقك معي، أليس كـذلك؟ ليس لي

علاقة بما حدث»

قال (طارق):

ـ «لن نعيدك إلى السجن الآن، ما زلنا نحتاجك»

قال (فريد):

ـ «ماذا؟»

قال (طارق):

ـ «سنقوم بالأمر مرة ثانية»

قال (طارق):

ـ «سنقوم بالأمر مرة ثانية»

قالت (يارا):

ـ «ماذا؟ لقد اتفقنا على فعلها مرة واحدة، وينتهي الأمر»

قال (طارق):

ـ «ولكننا لم نصل إلى أي شيء، لقد ازددنا حيرة فحسب»

قال (فريد):

ـ «سنقوم بها مرة ثانية، يبدو أن اليوم هو يوم حظي»

قالت (يارا):

ـ «اصمت الآن يا (فريد)، ليس هذا وقتك»

قالتها، والتفتت إلى (طارق) مكملة:

ـ «هل أنت متأكد؟»

قال (طارق):

ـ «لقد فكرت في كل شيء، هذا هو الحل الوحيد»

قالت (يارا):

ـ «وماذا لو زادتنا حيرة؟ لا تقل لي أنك ستقوم بها مرة ثالثة!»

قال (طارق):

ـ «لن تكون هناك مرة ثالثة، فنحن لن نستخرج جثة واحدة هذه المرة، بل جثتين»

قالت (يارا):

ـ «ماذا؟ لا يمكن هذا»

قال (فريد):

ـ «هذا الأمر يستمر بالتحسن، يبدو أن اليوم هو عيد ميلادي»

قالت (يارا):

ـ «(طارق)، عزيزي، أعرف أن الأمر صعب التقبل، وأنا مثلك كنت أتمنى أن ينتهي، ولكن فلتتوقف دقيقة، وتفكر فيما تقوله»

قال (فريد):

ـ «ليس أنني أشتكي، إنها فرصة نادرة الحدوث، ولكن هل لي أن اسأل لماذا سنستخرج جثتين هذه المرة؟»

قال (طارق):

ـ «إنني أريد أن أكون متأكدًا، وأحسم هذا الأمر سريعًا، فالجميع فوق رأسي يطالبونني بنتائج لا أملكها»

قال (فريد):

ـ «كيف؟»

قال (طارق):

ـ «أنت ستقوم بالعملية مرتين، وستخرج بنتيجة من هذه، فإما أن تؤكد لي أن مدرس التاريخ هو من رآه جميع الضحايا، وساعتها سأقوم بسلخ جلده حتى أصل إلى الحقيقة، أو تخبرني أن شخصًا آخر قد فعلها، وأنك قد تأكدت منه مرتين، أو...»

وصمت لحظة، ثم أكمل:

ـ «لا أريد التفكير في الاحتمال الثالث»

قال (فريد):

ـ «وماذا لو رأيت شخصين مختلفين؟»

تقدم (طارق) نحوه قائلًا:

ـ «ساعتها سأعرف أنك أحمق عديم الفائدة، وسأحرص على إلقائك، في أسوأ حفرة من الجحيم لبقية حياتك»

قال (فريد):

ـ «ماذا؟»

قالت (يارا):

ـ «فلتقم بعملك، وتخبرنا ماذا ترى»

قال (فريد):

ـ «ألم تسمعي ما يتحدث عنه؟»

قالت (يارا):

ـ «فقط قم بعملك، واترك الباقي لي»

تحرك (طارق) خارج الغرفة، سارت (يارا) خلفه، ثم قالت:

ـ «لماذا تعامله هكذا؟»

ـ «من؟»

ـ «(فريد)»

ـ «وكيف تريدنني أن أعامله؟ إنه نكرومانسر لعين»

ـ «لا تنسَ أنك تحتاج لهذا اللعين حتى تتم عملك، إنه يساعدك، فلتكن جيدًا معه»

ـ «هل تظنين أنه يمتلك مشاعر مثلنا؟ إن الرجل يأكل الأموات، وأنت تتحدثين عن مشاعره اللعينة، هذا الرجل مكانه في حفر المجاري»

ـ «لا فائدة»

نطقت بها (يارا)، وسارت مبتعدة لعدة خطوات، ثم قالت:

ـ «سأتصل بـ(مروان) ليقوم بالأمر، هل هناك شيء محدد تريده؟»

قال (طارق):

ـ «نعم»

وسار نحوها قائلًا:

ـ «لقد تركتُ لك اختيار الجثة في المرة السابقة، ولكنني سأختار هذه المرة»

لم تعلق (يارا)، فأكمل (طارق):

ـ «هناك دائمًا جريمة مميزة لكل قاتل، وغالبًا تتعلق بشيء شخصي معه، إنها جريمته الأولى، أريدك أن تطلبي منه إحضار جثة الضحية الأولى، وأيضًا الأخيرة، لابد أنها مميزة، لذلك يختارها القاتل لتكون ختام عمله، إنهم يعتقدون أنفسهم مثل فنانين يرسمون لوحات مميزة، والبداية والختام مهمان بالنسبة لهم»

قالت (يارا):

ـ «حسنًا، سأخبره»

قال (طارق):

ـ «أمر آخر، أخبري (فريد) أننا لن نذهب للمراقبة هذه المرة، وإذا كان يريد الاحتفاظ بوجهه سليمًا، فعليه ألا يناقشني في الأمر»

قالها، وتحرك مبتعدًا نحو غرفة المراقبة، ألقى بجسده على الأريكة الضخمة، أغمض عينيه، لا يريد أن يفكر في هذا الاحتمال الثالث، لا يعرف ماذا سيفعل ساعتها، ربما سيكون من الأفضل ساعتها أن يعلن استسلامه، هذا الشخص لا يمكن القبض عليه، هذا الرجل شيطان بالفعل، ولكن لماذا يخطف شيطان أميرة البلاد؟ لماذا لم يخطف الملكة نفسها؟

لقد ذهب بعيدًا للغاية في محاولة القبض عليه، قام بأمور لم يكن يتصور أبدًا أن يقوم بها في حياته، لم يكن يتصور القيام بالنكرومانسي مرة واحدة، والآن ها هو يكرر الأمر ثلاث مرات، لا يمكنه تصور ما سيحدث لو تسرب هذا الخبر للعلن، لا يمكنه البدء في تصور عناوين

الصحف التي ستصف الأمر، سيتمنى ساعتها أن يعود ليصبح الرجل الذي قتل الأميرة بدلًا من أن يصبح الرجل الذي يأكل لحم الموتى، لن يتفهم أحد دوافعه، لن يتفهم أحد أنه لم يفعلها من أجله، وإنما فعلها من أجلهم، وأن الضحايا أنفسهم لو تمكنوا من الكلام لوافقوه على ما فعل.

ظل غارقًا في أفكاره حتى غلبه النوم، استيقظ عندما سمع طرقات على الباب، ودخلت (يارا) قائلة:

ـ «لقد أحضر (مروان) الجثتين، و(فريد) على وشك البدء»

نهض (طارق) من مكانه، سار معها للخارج، ظلا واقفين خارج الغرفة في صمت حتى خرج (فريد) ممسكًا بورقة، ناولها لـ(طارق)، ثم ابتعد بسرعة، وقال:

ـ «هذه هي نتيجة الجثة الأولى»

تطلع (طارق) إلى الصورة، ثم قال:

ـ «اللعنة! اللعنة!»

التقطت (يارا) الورقة من يده، وتطلعت إليها للحظات، ثم قالت:

ـ «إنه شخص آخر»

ركل (طارق) المقعد الخشبي الموضوع أمامه، فطار واصطدم بالحائط، ثم قال:

ـ «إنه شخص آخر، هل أنت متأكد أنك قمت بالأمور بطريقة صحيحة؟»

قال (فريد):

ـ «ماذا؟ نعم، أنا متأكد، هذا هو الشخص الذي رأته الضحية»

قال (طارق):

ـ «هل يمكن أن يكون هناك احتمالية للخطأ؟»

قالت (يارا):

ـ «ما يقصده (طارق)، هو هل يمكن أن ترى شخصًا آخر؟ هل يمكن أن... لا أعرف، أقصد هل يمكن أن يحدث خطأ؟»

قال (فريد):

ـ «لقد أخبرتكم مرارًا، إنني أرى ما رآه الشخص الميت، وهذا هو الشخص الذي رأته المتوفاة قبل أن تموت، لا توجد أية احتمالية للخطأ»

قال (طارق):

ـ «ما لم تكن أنت قد رسمت شخصًا آخر»

قال (فريد):

ـ «أنا لم أرسم شخصًا آخر»

التقط (طارق) مجموعة أوراق وقلم، ووضعهم أمامه قائلًا:

ـ «أثبت هذا، أريدك أن تثبت هذا الآن»

قال (فريد):

ـ «كيف؟ كيف أثبت هذا؟»

قال (طارق):

ـ «أريدك أن ترسم، أن ترسم شخصًا ما، أريدك أن ترسم (مروان). لقد كان هنا، وقد رايته لفترة كافية، لقد رأيته اليوم عندما أحضر الجثتين، أريدك أن ترسمه من ذاكرتك، الآن»

قال (فريد):

ـ «ماذا!؟ أنا لم أنظر إليه جيدًا، لم أتحقق من وجهه»

قال (طارق):

ـ «افعلها الآن، وإلا أقسم أن أرسلك إلى الجحيم فورًا!»

تردد (فريد) للحظات، ثم التقط القلم وبدأ يرسم، راقبه (طارق) وهو يقوم بالعمل، لم يكن يعرف ما يريد، هل يريده أن يفشل ليعرف أنه أحمق، وقد رسم الأشخاص خطأ مما يجعل كل ما فعله مجرد عبث، وهذا يعيده إلى نقطة البداية؟ أم يريده أن ينجح، ليتأكد ساعتها أنه قد رسم الأشخاص الصحيحين؟ وهذا يضعه في مواجهة نقطة أخرى، لماذا هؤلاء الأشخاص؟ ما الرابط الذي يجمع بينهم؟ هذه سيعيده أيضًا إلى نقطة البداية، الحقيقة أنه لم يتقدم خطوة واحدة على الرغم مما فعل، ربما كان من الأفضل لو لم يستمع لـ(يارا) منذ البداية، لقد خاطر بنفسه بلا فائدة.

تطلع إلى (يارا) التي انهمكت في العمل على هاتفها المحمول، إنها تعمل عليه طوال الوقت، ولكنه في هذه اللحظة تمنى لو أمسكه، وحطمه فوق رأسها، من أين تأتي بهذا الهدوء، إنها لا تملك شيئًا

لتخسره مثله، أسوأ شيء يمكن أن يحدث لها أنها ستعود إلى مكتبها المتهدم مع سكرتيرتها الحمقاء، وتكمل حياتها البائسة، لن يذكرها أحد بشيء.

مضت دقائق أخرى، ثم نهض (فريد)، وسار نحوه، مد الورقة ثم سحبها ثانية، حك رأسه قائلًا:

ـ «انتظر»

تحرك عائدًا، ولكن (طارق) قفز، وانتزع الورقة من يده، وتطلع إليها للحظات، كانت صورة مطابقة لـ(مروان)، أعطاها لـ(يارا) قائلًا:

ـ «اللعنة!»

ثم التفت إلى (فريد) قائلًا:

ـ «يمكنك الدخول إلى الجثة الأخرى»

تحرك (فريد) إلى الداخل، عاد (طارق) إلى مقعده، فقالت (يارا):

ـ «أعرف ما تشعر به، أنا أشعر بنفس الشيء، كلما ظننا أننا نتقدم نكتشف أننا ما زلنا في المربع صفر...»

قاطعها (طارق) قائلًا:

ـ «هلا صمتّي قليلًا، أريد أن أبقى وحدي لفترة»

قالها وتحرك مبتعدًا، أخرج هاتفه وبدأ يُجري عددًا من الاتصالات مع أعضاء فريقه، لم يتوصل أحد لشيء، ما زالت القضية كما هي، كل ما عرفه أن هناك المزيد من الضغط من رئيس الوزراء على الوحدة، وأنه يتهمهم بالتكاسل، والفشل، إلى آخر هذه الأمور. يعرف ما يحدث

جيدًا، الملكة تقوم بتوبيخه، وهو ينقل هذا التوبيخ إلى رئيس الوحدة الذي ينقله إلى الأعضاء، عليه أن يبحث عن شخص ينقل له التوبيخ بدوره، لا يجب أن يتوقف عنده، لحظة، إنه يفعلها بالفعل، إنه يصب جام غضبه على (فريد) دون أن يفعل شيئًا، لا يتعلق الأمر بكونه نكرومانسر فحسب كما يقول، لا إنه يفعلها لأنه غاضب للغاية، ولا يوجد متنفس آخر لغضبه.

خرج (فريد) في تلك اللحظة حاملًا ورقته، تحرك (طارق) نحوه، ولكن (فريد) ابتعد سريعًا، ناول الورقة لـ(يارا)، ثم أسرع نحو الغرفة، وأغلق الباب خلفه، تطلعت (يارا) إلى الورقة قائلة:

ـ «اللعنة!»

عرف (طارق) ما رأت، التقط الورقة وتطلع إليها للحظات، قال:

ـ «إذًا فلدينا ثلاثة قتلة محتملين لثلاثة ضحايا مختلفين، أراهن أننا سنحصل على المزيد من المشتبه فيهم إذا أخرجنا المزيد من الجثث»

خرج (فريد) من الغرفة في تلك اللحظة قائلًا:

ـ «هل تتحدث عن المزيد من الجثث؟»

قالت (يارا):

ـ «ماذا ستفعل؟ هل سنحضرهما للاستجواب؟»

قال (طارق):

ـ «لا، لا أستطيع المغامرة بجلب المزيد من الأشخاص إلى هنا، اطلبي من (مروان) أن يجمع كل المعلومات اللازمة عنهما، وإن كنت أشك

أننا سنجد أي شيء ذا أهمية»

قالها، وثبت الصورتين على الحائط على اللوحة التي تُظهر تفاصيل القضية بجوار صورة مدرس التاريخ، قال (فريد):

ـ «هل سنكرر الأمر؟»

قاوم (طارق) رغبة عارمة في تحطيم جمجمته على الحائط، وقال:

ـ «لا، لن نكرر العملية ثانية»

قالها، ثم عاد يتطلع إلى الصور قائلًا:

ـ «لدينا ثلاثة مشتبه فيهم، وأنا متأكد أننا لو أحضرنا بقية الجثث سنكتشف مجموعة مختلفة من القتلة، لن نجد شخصًا مكررًا مرتين، فماذا يخبرنا هذا؟»

قالت (يارا):

ـ «لدي فكرة. ماذا لو أن (الزهرة الحمراء) ليس شخصًا واحدًا، ماذا لو أنه مجموعة من الأشخاص، اتفقوا على قتل عدد من الضحايا، كل شخص يقتل واحدًا بنفس الأسلوب، ليوهموا الجميع بأنه قاتل متسلسل!»

قال (طارق):

ـ «لقد كانت هذه إحدى النظريات التي طرحت في الماضي، وقد قام فريق التحقيق بقتلها بحثًا، بحثوا في تاريخ كل ضحية بمفرده، ولكنهم لم يصلوا إلى أي شيء»

قالت (يارا):

ـ «هذا يتركنا أمام احتمال واحد، أن القاتل يقوم بتغير شكله أمام الضحايا قبل قتلهم، يفعلها مع كل الضحايا، وهنا يكون السؤال هو لماذا يفعل هذا؟ ولماذا هؤلاء الأشخاص؟ هل هناك رابط بينهم؟ أم أنهم اختيار عشوائي؟»

قال (فريد):

ـ «أعتقد أن لدي إجابة السؤال الأول. فلنفترض مجرد افتراض أن هذا القاتل قد سمع عن النكرومانسر، ويعرف إمكانياتهم لذلك فهو يأخذ الحذر في حالة طارده أحدهم»

قالت (يارا):

ـ «فلتصمت يا (فريد)، إننا نفكر الآن»

أشار (طارق) نحوه قائلًا:

ـ «في الواقع هذا الاحتمال ليس غبيًا كعادتك، ولكن منذ متى يعرف القتلة أن الشرطة تستعين بنكرومانسر؟»

قال (فريد):

ـ «ربما لم يفعلها من أجل الشرطة، ربما فعلها من أجل أقارب الضحايا، في حالة استعان أحدهم بالنكرومانسر»

قال (طارق):

ـ «يبدو احتمالًا بعيدًا أن يطلب أحدهم أكل جثث عائلته، ولكن...»

قاطعته (يارا) قائلة:

ـ «لقد فعلها رجل العصابات مع (فريد)!»

قال (طارق):

ـ «حسنًا، إذًا لدينا قاتل قد وضع كل الاحتمالات لتامين نفسه حتى أنه يؤمن نفسه ضد النكرومانسر، رائع، وإذا كان بهذا الذكاء فلا أعتقد أننا سنجد أية رابط بين هؤلاء الأشخاص وبعضهم، كما أننا لن نجد أي رابط بينه وبينهم، ربما هم أشخاص شاهد صورهم بالصدفة في أي مكان»

قالت (يارا):

ـ «لابد من وجود خطأ؛ لا أحد كامل»

قال (طارق):

ـ «أنت محقة، لابد من وجود خطأ، دائمًا هناك خطأ. وسنواصل البحث حتى نجد، في هذه الأثناء لن نهمل البحث التقليدي، سنقوم بالبحث في خلفيات هؤلاء الأشخاص علنا نجد ما يفيدنا»

قال (فريد):

ـ «إذا لم نجد شيئًا، هل سنحضر المزيد من الجثث؟»

قالت (يارا):

ـ «إذا لم نجد شيئًا فسنعلن هزيمتنا، لقد جربنا كل الطرق، وفشلنا، لم تعد هناك طريقة أخرى»

خيم الصمت لدقائق، حتى قال (طارق):

ـ «ليس صحيحًا، صحيح أننا لم نحقق ما نريد، ولكننا لسنا خاويي الأيدي كما تعتقدان، إننا نملك ورقة مهمة»

قالت (يارا):

ـ «ماذا تقصد؟»

قال (طارق):

ـ «إننا نملك أول معلومات حقيقية عن قاتل (الزهرة الحمراء)، علينا فقط أن نفكر في الطريقة المناسبة لاستخدام هذه المعلومات لجذب القاتل إلينا، بدلًا من أن نبحث عنه»

قال (فريد):

ـ «ماذا تقصد؟»

قالت (يارا):

ـ «رائع، ما زلت عبقريًا كعهدي بك يا (طارق)، هذه الطريقة ستوصلنا إليه بلا شك»

قال (طارق):

ـ «ولكن كيف نفعلها؟»

قالت (يارا):

ـ «لدي فكرة»

قالت (يارا):

ـ «لدي فكرة»

قال (طارق):

ـ «ما هي؟»

قالت (يارا):

ـ «ماذا تعرف عن الإنترنت المظلم؟ أو الإنترنت العميق؟»

قال (طارق):

ـ «أعرف ما يكفي، أخبريني، ما هي فكرتك؟»

قال (فريد):

ـ «الإنترنت المظلم؟ هل يوجد إنترنت مظلم وآخر مضيء؟»

قال (طارق):

ـ «يوجد إنترنت أحمق مختلف مثلك، أخبريني، ما هي فكرتك؟»

قالت (يارا):

ـ «إن الإنترنت المظلم هو عبارة عن جزء مخفي من شبكة الإنترنت، يحتوي على ملايين المواقع التي لا تتم أرشفتها في محركات البحث

العادية، ولا يمكن الوصول إليها من خلال متصفحات الإنترنت، يبلغ مجمل محتوى الإنترنت المظلم 96% من محتوى شبكة الإنترنت أما الـ4% المتبقية فهي كل ما تستطيع تصفحه بالطرق العادي»

واصلت (يارا) الشرح، و(فريد) يستمع في اهتمام، تمنى (طارق) في تلك اللحظة أن يمسك رأسيهما، ويصدمهما معًا حتى يتحطما، قال (فريد):

ـ «يبدو مكانًا مذهلًا، هناك الكثير من الرفاق الجيدين»

قالت (يارا):

ـ «ضمن مواقع الإنترنت العميق يوجد موقع اسمه (التفاحة السوداء)، هذا الموقع أكبر موقع للدردشة عن القتلة المتسلسلين حول العالم، إنه يحوي العديد من الغرف للحوار، وتبادل الحكايات، والخبرات، والكثير مما تعجز الكلمات عن وصفه»

قال (فريد):

ـ «لحظة واحدة! كيف تترك الحكومات هذه المواقع؟»

قال (طارق):

ـ «لا يوجد سيطرة لأحد على الإنترنت العميق، كما أن الجميع مجهولون، لا يمكن تتبعهم»

قالت (يارا):

ـ «سنقوم بالدخول إلى هذا الموقع، سنلقي معلومة بشكل عابر لن يُلْتَفَت إليها، ولن تهمهم، ولكن وحده القاتل هو من سيعرف أنها

معلومة حقيقية وسيأتي إلينا»

قال (فريد):

ـ «لا أريد أن أحبطك، ولكن هل هذه هي خطتك العبقرية؟ إنها سخيفة للغاية، وبها الكثير من الثغرات، أولًا، ما أدراك أن هذا القاتل يتابع هذه المواقع السخيفة؟ ثانيًا، ما أدراك أنك ستجذبين القاتل الحقيقي، وليس واحدًا من المهووسين بالشهرة المصابين بالسمنة المفرطة، الذين لا يجدون شيئًا آخر يفعلونه!؟»

قالت (يارا):

ـ «أولًا، ليست مواقع سخيفة. ثانيًا، دعني أخبرك أن أكثر من 80% من القتلة المتسلسلين الذين تم القبض عليهم في السنوات العشر الأخيرة كانوا على موقع (التفاحة السوداء). ثالثًا، فكر في الأمر، لماذا عاد (الزهرة الحمراء) بعد كل هذه السنوات؟ ولماذا اختار الأميرة؟ كان يمكنه أن يخطف أية ضحية عادية مثل ضحاياه السابقين، ولكنه اختار الأميرة لأنه يبحث عن الشهرة، إنه يعرف أن هذه هي لعبته الأخيرة، وهو يريدها أن تكون جريمة لا تنسى، أراهن أنه يتابع كل كلمة تكتب عنه»

قال (فريد):

ـ «لا تبدو لي كخطة محكمة، ما زال هناك الكثير من الثغرات»

قال (طارق):

ـ «ربما هناك الكثير من الثغرات، ولكن يمكن تفاديها بسهولة، الأمر كله يعتمد على لعب الأوراق التي لدينا بطريقة صحيحة»

قالت (يارا):

ـ «بالضبط، الأمر كله يعتمد على طريقة التنفيذ. أولًا سنلقي الطعم بطريقة عادية لن تلفت نظر أحد إلا القاتل، سنتكلم بطريقة عامة، ولكنها توحي بان لدينا الكثير من المعلومات، أكثر مما لدينا بالفعل، لن نلقي كل ما لدينا دفعة واحدة، بل سنترك جزءًا منه لنتأكد من أن لدينا الشخص الصحيح»

قال (فريد):

ـ «أعتذر عما قلته سابقًا، إنها خطة محكمة»

دق هاتف (يارا)، فالتقطتها وتطلعت إليه للحظات، ثم قالت:

ـ «لقد أرسل لي (مروان) رسالة تحتوي على معلومات الشخصين الآخرين، أعتقد أنها بالإضافة إلى ما لدينا من معلومات عن الأول ستكون كافية للقبض عليه، أحدهما مهندس إلكترونيات يدعي (وائل)، والآخر محامٍ يدعى (ناصر)»

قال (فريد):

ـ «مهندس، ومحامٍ، ومدرس. يبدو أن الرجل لديه ولع بأصحاب الوظائف العالية»

لم يعلق أحد، أمسكت (يارا) هاتفها، فتحت المتصفح، ووضعت اسم الموقع، لحظات ثم ظهرت نافذة، فأدخلت بياناتها، وكلمة المرور، وضغطت زر الدخول، توجهت إلى غرفة الدردشة، كانت معظم الحوارات بالفعل تدور حول (الزهرة الحمراء)، أشارت بإصبعها إلى غرفة تحمل اسمه، موجودة تحت غرفة (جاك السفاح)، وقالت:

ـ «انظر، لقد فتحوا غرفة باسمه»

توجهت إليها، وتابعوا الحوار. كان هناك الكثيرون يتحدثون عن القاتل، الكثير من النظريات، والقصص، وشخص ما يحاول باستماتة إقناع الجميع أنه القاتل، ولكنه يقابل بسخرية شديدة، ظلت تتابع الحوار، فقال (فريد):

ـ «فلتكتبي ما لديك الآن»

قالت (يارا):

ـ «الصبر، إن التوقيت هو أهم شيء، أنت لا تدخل، وتلقي ما لديك هكذا، عليك انتظار اللحظة المناسبة»

عادوا لمتابعة التعليقات لدقائق حتى تدخلت (يارا)، وكتبت:

ـ «أعتقد أن قاتل (ماريا صلاح) محامٍ»

حصلت على تعليق أو اثنين، «كيف عرفت؟ ولماذا محامٍ؟»، ثم عاد الحوار يكمل في طريق آخر، فانتظرت قليلًا، ثم كتبت:

ـ «قاتل الضحية (صالح) من مدينة (1)»

لم يعلق أحد هذه المرة، واستمر الحوار، بدأ البعض يمدح ذكاء القاتل الذي حير الشرطة فتدخلت، وكتبت:

ـ «أعتقد أن (الزهرة الحمراء) ذكي جدًا، أكثر بكثير مما تتخيلون، لقد أعد العدة لكل شيء، حتى أبعد الاحتمالات الممكنة، مما يجعل القبض عليه مستحيلًا، حتى لو استعانت الشرطة بساحر»

قال (طارق):

ـ «جيد جدًا»

قال (فريد):

ـ «لماذا لمَّا تقولي نكرومانسر!؟ أنا لست ساحرًا! أنا أكره هؤلاء المشعوذين»

لم يعلق أحد على كلامه، تابعوا الحوار. حصلت (يارا) على عدد من المؤيدين، والقليل من الاعتراضات التي تقول أنهم يبالغون، وأنه في النهاية شخص عادي، فلا داعي لهذه المبالغات، كتبت (يارا):

ـ «هذا الرجل حريص للغاية، أراهن أنه يقوم بكل جريمة بوجه مختلف»

هنا صدرت بعض الاعتراضات ضدها، وكتب بعضهم أنه (نفس الأسلوب في كل مرة أيها الأحمق! إنه نفس الشخص!). كتبت (يارا):

ـ «إنه قاتل الألف وجه، أو للدقة قاتل الأحد عشر وجهًا، وأنا لدي صورة لأحد وجوهه»

لم يعلق أحد هذه المرة، وعادوا يناقشون نظرية أخرى، فانتظرت قليلًا، ثم أرسلت صورة المحامي إلى الموقع، وقالت:

ـ «الآن تم وضع الطعم بنجاح»

قال (فريد):

ـ «وماذا سنفعل؟»

قالت (يارا):

ـ «ننتظر»

مرت نصف ساعة، ولم يحدث شيء، جاءها طلب حوار خاص، استقبلته، فجاءتها رسالة قائلة:

ـ «أنا (الزهرة الحمراء)»

أغلقت المحادثة قال (فريد):

ـ «ماذا فعلت؟ لقد جاءك»

قالت (يارا):

ـ «هذا الرجل لن يبدأ كلامه أبدًا بهذه العبارة السخيفة»

قال (فريد):

ـ «كيف تعرفين؟»

قالت (يارا):

ـ «أنا أعرف»

مرت نصف ساعة، ثم جاء طلب محادثة خاصة آخر، كان أحدهم يطلب منها الحديث حول القاتل، أغلقته ولم تجبه. جاء ثانٍ ثم ثالث، فأخذت تردد:

ـ «الصبر الصبر الصبر»

دقائق، ثم جاءها طلب حوار:

ـ «كيف عرفت؟»

همت بإغلاق طلب الحوار، ولكن جاءت الرسالة:

ـ «لا داعي لإضاعة الوقت في كلام جانبي، كلانا فقط يعرف أن المعلومات التي ذكرتها معلومات حقيقة، ولا يمكن أن تكون مصادفة»

قال (طارق):

ـ «إنه هو»

كتبت (يارا):

ـ «لا أعرف ما الذي تتحدث عنه!»

قال (فريد):

ـ «ماذا!؟ إنك تضيعينه...»

أشار له (طارق) بالصمت، جاءت الرسالة:

ـ «أظن أنك تعرف بالضبط ما أتحدث عنه»

كتبت (يارا):

ـ «أثبت أنك أنت من تقول، أخبرني بشيء لا يعرفه أحد»

لحظات، ثم ظهرت الرسالة:

ـ «قاتل (أشرف كمال) يعمل في أحد المتاجر»

قال (فريد):

ـ «كيف نعرف أن ما يقوله حقيقي؟»

كتبت (يارا):

ـ «جيد، ولكنني أريد شيئًا أكثر دقة»

الرسالة:

ـ «وما هو؟»

كتبت (يارا):

ـ «أنت تعرف ما أريد»

لحظات من الصمت، ووصل نص الرسالة: «قاتل (أميرة نور)»، مرفقًا بصورة رجل.

قال (فريد):

ـ «إذًا فهو يقتل كل واحدة بوجه مختلف»

قال (طارق):

ـ «نحتاج إلى خطوة أخرى لنعرف أنه رجلنا، يجب أن نفعلها دون أن نضيعه»

خيم الصمت لنصف دقيقة، حتى كتبت (يارا):

ـ «جيد، ولكني أريد واحدة أخرى، أريد واحدة ذات مكانة خاصة عندك»

جاءت الرسالة:

ـ «إذًا فأنت ليس لديك المعلومات الكاملة كما كنت تحاول إيهامي»

قال (فريد):

ـ «هل خسرناه؟»

خيم الصمت لدقيقتين مرتا ثقيلتين، حتى وصلت رسالة تحمل صورة (مفيدة)، وإلى جوارها صورة مهندس الإلكترونيات، ثم تلتها رسالة تقول:

ـ «المرة الأولى دائمًا مميزة»

قال (طارق):

ـ «إنه هو، إنه هو!»

قال (فريد):

ـ «هل من الممكن معرفة مكانه؟»

قالت (يارا):

ـ «لقد أخبرتك سابقًا، لا يمكن تتبع المواقع على الإنترنت العميق، إن هذه المواقع تستخدم تقنيات يستحيل اختراقها»

تراصت حروف رسالة جديدة:

ـ «لقد أثبت نفسي كما طلبت، والآن حان دورك لتجيب أسئلتي؟»

كتبت (يارا):

ـ «ماذا تريد أن تعرف؟»

مضت دقيقة، ثم ظهرت الرسالة:

ـ «كيف عرفت أنني متغير الشكل؟»

10

ـ «متغير الشكل!!»

نطق (طارق) بالعبارة، وصمت لحظة، ثم أكمل:

ـ «ما الذي يعنيه هذا؟»

قال (فريد):

ـ «إنه الشخص الذي لديه القدرة على تغيير شكله إلى أي شكل يريده»

قال (طارق):

ـ «ليس الآن يا (فريد).. ليس الآن»

قالت (يارا):

ـ «أعتقد أنه محق»

قال (طارق):

ـ «أنا أعرف معنى متغير الشكل، ولكنني واثق أنه يقصد شيئًا آخر؛ فمتغير الشكل مجرد أسطورة، إنه يقصد أنه يغير شكله مع كل ضحية، ربما يضع قناعًا مثلًا»

قال (فريد):

ـ «متغير الشكل ليس أسطورة، لقد رأيته من قبل»

قال (طارق):

ـ «لقد أخبرتك أن تصمت الآن»

قال (فريد):

ـ «وأنا أقول لك أنني قد رأيته من قبل، يمكنه أن يجعل نفسه نسخة منك، حتى أقرب الأشخاص لك لن يستطيعوا التفريق بينكما، إنه ينسخ كل شيء حتى بصمة أصابعك»

قال (طارق):

ـ «وأنا أقول لك أنك أحمق، هذا الأمر أسطورة»

قال (فريد):

ـ «لو أنك رأيت...»

قاطعته (يارا) قائلة:

ـ «فلتكفا عن الجدال! إنني أحاول التركيز هنا، ولا أعرف ماذا أخبره»

فكرت لنصف دقيقة، ثم كتبت:

ـ «الساحر لا يكشف أسراره أبدًا»

جاء الرد سريعًا:

ـ «لا أعتقد أنك ساحر، ولكن لا بأس. أخبرني، ماذا تعرف أيضًا عني؟»

كتبت (يارا):

ـ «أنا أعرف الكثير من الأشياء عنك، أعـرف أنك تظن أنك لا تعــذب

ضحاياك، بل تظن أنك تخدمهم عندما تمنحهم فرصة الرحيل في سلام»

وصل نص رسالة جديد:

ـ «يبدو أنك تعرف الكثير بالفعل»

كتبت (يارا):

ـ «عملي هو أن أعرف»

جاءت الرسالة:

ـ «من أنت؟»

كتبت (يارا):

ـ «اسمي (يارا مصطفى)، اعتقد أنك سمعت عني»

قال (فريد):

ـ «اللعنة! كيف تخبرينه ذلك!؟ سيعرف أنك من أوقعتِ بالقاتل الشبح، ولن يتحدث معك بعد الآن»

لم تعلق (يارا)، وظلت عيناها معلقتان بالشاشة. مضت دقيقتان دون رد، همست (يارا):

ـ «هيا.. هيا..»

قال (طارق):

ـ «للمرة الأولى أتفق مع (فريد)، لم يكن ينبغي أن تخبريه باسمك»

قال (فريد):

ـ «لقد أخفته، لقد فقدناه بسبب تصرفك المتهور، كان يمكنك أن تخبريه بأي اسم يخطر ببالك، ثم نطلب لقاءه، هكذا نقبض عليه، لقد أضعت فرصتنا»

قال (طارق):

ـ «أيها الأحمق! هل تظن أن الأمر بهذه السهولة؟ هل تظن أن رجلًا بكل هذا الحرص سيخرج لمقابلة شخص مجهول قابله على الإنترنت؟ رجل اتخذ كل الاحترازات الممكنة، حتى ضد النكرومانسر، يمكنك القبض عليه بهذه الطريقة الساذجة!»

قال (فريد):

ـ «إذًا لماذا لمتها على إخبارها له باسمها؟»

تطلع إليه (طارق) للحظات، ثم قال:

ـ «لا فائدة من الكلام معك!»

مضت دقيقتان، ثم جاءت الرسالة:

ـ «(يارا)، أنتِ من اكتشف القاتل الشبح»

لحظات، ثم جاءت أخرى:

ـ «والآن أنت تسعين خلفي لاستعادة مجدك الضائع»

نظرت (يارا) نحو (طارق) للحظة، ثم كتبت:

ـ «أنت ستكون بمثابة جوهرة التاج التي تضمن لي المجد الأبدي»

وصل رده:

ـ «يعجبني حماسك، ولكن إذا كان لي أن اسأل، أين اختفيت طوال السنوات الماضية؟»

كتبت (يارا):

ـ «لم تكن هناك قضية تثير حماستي»

جاءت الرسالة:

ـ «يا له من شرف عظيم أن تعودي من أجلي! ولكم يحزنني أنك ستعودين خاسرة!»

كتبت (يارا):

ـ «أتعرف من كان بمثل هذه الثقة وأكثر؟ القاتل الشبح. ولكنني قبضت عليه»

وصلها الرد سريعًا:

ـ «العشرات حاولوا من قبلك وفشلوا، لن تكوني مختلفة»

كتبت (يارا):

ـ «أنت تعرف أنني مختلفة، لقد بدأت منذ فترة قصيرة، وقد حصلت على معلومات أكثر من التي حصلوا عليها طوال السنوات السابقة، بل ها أنا ذا أصبح أول شخص يتحدث معك مباشرة»

جاءت الرسالة:

ـ «من الجيد الحصول على خصم ذكي؛ فقد بدأ الأمر يصبح مملًا بالتعامل مع كل هؤلاء الأغبياء»

كتبت (يارا):

ـ «هم ليسوا أغبياء لهذه الدرجة، ولكن أنت من يملك ميزة تجعله متفوقًا، أنت متغير الشكل. أخبرني، ما هو شعور أن تكون متغير الشكل؟»

جاء الرد:

ـ «إنه شعور لا يوصف، يمكنك تغير شكلك لتصبح أي شخص تريده في لحظة واحدة، يمكنني أن أكون مكانك في الصباح، وأعيش في وسط عائلتك دون أن يعرف أحد أي شيء»

قال (فريد):

ـ «أترى؟ لقد أخبرتك، إنه متغير الشكل»

قال (طارق):

ـ «هذا الأمر يصبح أسوأ وأسوأ مع كل خطوة نتقدمها، كيف يمكن القبض على متغير الشكل؟»

كتبت (يارا):

ـ «لا أعتقد أنك تريد أن تعيش مكاني»

لحظات، ثم كتبت ثانية:

ـ «والآن، أخبرني عن الأميرة؟»

لحيظات، ووصلت الرسالة:

ـ «ماذا عنها؟»

كتبت (يارا):

ـ «أنت شخص ذكي للغاية، وأنا لن أهين ذكاءك بمحاولة الحديث بعبارات ملتوية على أمل أن تخطئ، وتخبرني بشيء أريد معرفته، لذلك فأنا أفضل أن أسأل مباشرة»

لم يطل انتظار الرد:

ـ «أنت جيدة بالفعل، ولذلك سأخبرك، الأميرة بخير، لم يصبها أي أذى»

كتبت (يارا):

ـ «لا تقل لي أنك تنوي إيذاءها، أنت أذكى من هذا»

جاءت الرسالة:

ـ «أنت تعرفين أنني لا أؤذي أحدًا، ولكن ماذا لو كنت أنوي أن أفعل؟ ماذا سيحدث؟»

كتبت (يارا):

ـ «أنت لا تتصور ما سيحدث ساعتها، سيطلقون كل الدولة خلفك، ستصبح عدو الشعب الأول، سيقلبون كل حجر بحثًا عنك، وسيصلون إليك حتى لو كنت في بطن الحوت»

ظهرت الرسالة:

ـ «إنهم يفعلون هذا كله، وأكثر الآن، فما الذي وصلوا إليه؟ الأميرة ستواجه قدرها المحتوم مهما فعلوا»

لحظات، ثم جاءت رسالة أخرى:

ـ «ولكن من أجلك أنت سأطيل فترة بقائها المفترضة ثلاثة أيام»

تلاها رسالة فحواها:

ـ «سأتركك الآن، فقد حان موعد طعام الأميرة، ولكننا سنتحدث لاحقًا»

اختفت نافذة الحوار، فضرب (طارق) الحائط بقبضته قائلًا:

ـ «اللعين! أقسم أن أحطم أنفه عندما أقبض عليه»

قال (فريد):

ـ «هل يمكنني القول أن الخطة قد فشلت»

قالت (يارا):

ـ «لماذا؟»

قال (فريد):

ـ «كانت هذه فرصة نادرة الحدوث، حوار مباشر مع القاتل، ولم نحسن استغلالها، لم نصل إلى معلومة واحدة ذات أهمية»

قالت (يارا):

ـ «وما هي المعلومة ذات الأهمية التي توقعت أن نصل إليها؟ اسمه؟ عنوانه؟ رقم هاتفه؟ مكان عمله؟ هل توقعت أن رجلًا بهذا الذكاء قد نجا كل هذه الفترة بتوزيع معلوماته الخاصة في الدردشة!؟»

قال (فريد):

ـ «لم أقصد هذا، ولكننا لم نحصل على معلومة واحدة تمكننا من الوصول إليه»

قالت (يارا):

ـ «وهل توقعت أن نفعلها في المرة الأولى؟»

قالت (طارق):

ـ «أنت ترى الأمور من منظور ضيق؛ لقد كانت محادثة ناجحة جدًا، إنه الآن يعرف أن هناك لاعبًا جديدًا قد انضم إلى فريق الصيد، وهذا اللاعب يملك معلومات لا يعرف قدرها، ويملك طرقًا لا يعرفها، ولكن لديه كل المعلومات عن هذا اللاعب، أراهن أنه سيحاول التقرب من (يارا) لمعرفة كيف كشفت سره، كما أنه سيحاول تغيير نظامه الذي كشفته»

قالت (يارا):

ـ «تعني أنه سيكون أكثر حذرًا؟»

قال (طارق):

ـ «لا يمكنه أن يكون أكثر حذرا فهو في القمة بالفعل، ولكنه سيحاول تغيير نظامه، هذا النظام الذي أبقاه طليقًا طوال هذه السنوات، وهذا يعني ارتكابه للأخطاء، وعندها سننقض نحن عليه، وننهي الأمر»

قال (فريد):

ـ «أتمنى أن أحصل على نصف ثقتك هذه، أعتقد أننا لن نراه مرة أخرى»

لم يكد يكمل عبارته حتى دق هاتف (يارا) معلنًا تلقيه رسالة، فتحت الرسالة، وجدت صورة للأميرة (سارة) جالسة على مقعد خشبي،

وخلفها مكتبة ضخمة، وفي يدها (زهرة حمراء)، وجهتها نحو (طارق) الذي قال:

ـ «يا للسماء!»

لحظات ثم تلاشت الرسالة، فقال (طارق):

ـ «اللعنة!»

قالها والتقط الهاتف قائلًا:

ـ «سأطلب فحص الهاتف جيدًا لمعرفة مصدر الرسالة»

قالت (يارا):

ـ «لن أحاول إيقافك، ولكني أراهنك بأنك لن تجد شيئًا، لن تجد أي أثر لهذه الرسالة على الهاتف، إنها فقط أشبه بتحية البدء»

قال (فريد):

ـ «بدء ماذا؟»

قالت (يارا):

ـ «بدء لعبة الصيد»

11

تطلع (طارق) إلى اللوحة المعلقة على الحائط أمامه، تظهر صور الضحايا، وتحتها معلومات قليلة عنهم، تحت صورة كل ضحية صورة الشخص الذي قتلهم كما عرفوه، وفي الأعلى صورة لظل رجل تتوسطه علامة استفهام كبيرة وكتب أسفلها: (متغير الشكل). تحرك خطوة إلى سبورة بيضاء بجانب اللوحة وقال:

ـ «فلنراجع ما لدينا من معلومات حتى الآن»

كتب على السبورة:

ـ «قاتلنا متغير الشكل، يمكنه تغيير شكله ليشبه أي شخص يريده، وهذا التغيير يشمل كل شيء حتى بصمات أصابعه، يقوم القاتل بتغيير وجهه في كل مرة مع كل ضحية، ولا يبدو أنه يكرر نفس الوجه مرة أخرى، بالبحث في سجلات الأشخاص الذين عرفنا أنه أخذ وجوههم لم نجد شيئًا مميزًا، ولم نجد أي رابط بينهم وبين الضحايا. ولا ننسى أن القاتل خبير في استخدام التكنولوجيا، ويستطيع أن يمحو آثاره جيدًا»

صمت لحظات، ثم أكمل:

ـ «نقطة أخرى هامة جدًا، لقد كنت أسأل نفسي دائمًا كيف نجح هذا القاتل في الاختفاء كل هذه المدة دون ترك أي أثر، إنه يبدو كما لو كان يسبقنا بخطوة دائمًا، والآن فقط فهمت، هذا القاتل كان معنا

طوال الوقت يتابع البحث خطوة بخطوة ويرتب خطته على هذا الأساس»

قال (فريد):

ـ «مستحيل»

قالت (يارا):

ـ «فكر في الأمر، وستجد أنه منطقي جدًا، كل ما يحتاجه هو اتخاذ شكل أي شرطي، ثم الدخول إلى القسم، ومعرفة المعلومات اللازمة، والخروج دون أن يلاحظ أحد أي شيء»

قال (فريد):

ـ «يا إلهي! أعتقد أنك محقة، إن هذا يغير كل شيء بالفعل، هل يعني هذا أنه ضمن فريق البحث عن الأميرة الآن؟»

قالت (يارا):

ـ «لم يكن ليفوت هذه الفرصة أبدًا»

وصمتت لحظات، ثم أكملت:

ـ «ليس بالضرورة أنه ضمن فريق البحث الأساسي، فالوحدة (بي_6) لديها اجراءات أمنية مشددة، ومراقبة طوال الوقت، مما يجعل دخوله صعبًا، ولكنني متأكدة أنه يتابع التحقيقات بوسيلة ما، إنه يتابع كل التطورات لحظة بلحظة، إنه يتابعنا طوال الوقت»

قال (طارق):

ـ «إنه يعمل بين أيدينا، وتحت نظرنا. باختصار إنه يسخر منا طوال الوقت»

جلس (فريد) على أقرب مقعد له، وهمس:

ـ «هذا أكبر مما يمكنني احتماله»

قالها، وصمت لحظة، ثم أكمل:

ـ «ماذا تعنين بأن هذا القاتل معنا طوال الوقت؟ هل تقصدين بأنه معنا الآن؟»

انتفض (طارق) من مقعده قائلًا:

ـ «ماذا!؟»

أكمل (فريد):

ـ «هل يمكن أن يكون القاتل هو أحدنا؟ يبدو أمرًا مثيرًا، إنه أشد من كل قصص الرعب التي عشتها سابقًا»

قال (طارق):

ـ «هذا الفريق سري للغاية لا يعرف به أحد سوانا نحن الثلاثة، كما أننا كنا موجودين أثناء الحديث معه، مما يجعلنا خارج دائرة الاشتباه»

قالت (يارا):

ـ «وهذا بالضبط ما كان القاتل ليفعله ليقنعنا أنه ليس هو»

قال (طارق):

ـ «ماذا تقصدين؟»

قالت (يارا):

ـ «أنت بنفسك ذكرت أن هذا القاتل خبير في التكنولوجيا مما يجعل هذه الأمور سهلة، فربما عرف عن الفريق عن طريق التجسس على هواتفنا، وربما رتب موضوع الرسائل بطريقة ما لا نعرفها»

قال (طارق):

ـ «أي جحيم لعين هذا!؟ أنت تجعلين المرء يشك في نفسه!»

قالت (يارا):

ـ «أنا لم أقصد ما قلته بالطبع، إنني فقط أفكر بصوت عالٍ إلى أي مدى يمكن أن يذهب هذا القاتل»

قال (طارق):

ـ «ولكني أعتقد أنك محقة بالفعل، هذا القاتل معنا، يراقبنا، ويعرف ما نفعله، ونحن سنصل إليه، وسنكشف وجوده ولكن علينا في البداية الوصول إلى نقطة ارتكاز ننطلق منها وإلا ظللنا نسبح في الظلام بلا هدف»

قالها، والتفت إلى (فريد) قائلًا:

ـ «بما أنك تدعي أنك تعلم عن متغير الشكل، أخبرني كيف يمكن الكشف عن متغير الشكل؟»

لم يجب (فريد)، فقال (طارق):

ـ «بمعنى آخر كيف يمكنك إجباره على الظهور؟ هل هناك شيء ما يمكنه أن يعيده إلى شكله الأصلي؟»

قال (فريد):

ـ «فهمت، تقصد نقطة ضعف متغير الشكل. حسنًا أنا لست متأكدًا ولكنني سمعت أن الألم يجبرهم على العودة إلى شكلهم الأصلي»

نهض (طارق)، سار عدة خطوات. ولَكَمَ (فريد) بقوة في وجهه، فتراجع الأخير للخلف، وانفجر الدم من فمه، قالت (يارا):

ـ «لما فعلت هذا أيها الأحمق؟»

قال (طارق):

ـ «كنت أختبره، والآن بما أنه لم يغير شكله فهذا يعني أنه هو»

التقطت (يارا) قلمًا، وكشفت رأسه قائلة:

ـ «وما رأيك أن أغرس هذا القلم في جسدك لنختبرك به؟»

قال (طارق):

ـ «حسنًا، كنت أفكر في اختبار أكثر بساطة، فنحن الاثنان لدينا الكثير من الذكريات المشتركة من قبل ظهور هذا القاتل بكثير»

التقط قلم وورقة وقال:

ـ «فليكتب كل منا ذكرى مميزة لا يعرفها إلا الآخر»

قالت (يارا):

ـ «ولماذا نكتب؟ لماذا لا نحكيها؟ هل تخشي أن يعرف (فريد) أننا كنا مخطوبين ذات يوم؟»

قال (طارق):

ـ «لم أقصد هذا، أنا...»

قال (فريد):

ـ «أنتما؟ لا أصدق هذا! أنت مخطوبة لهذا الرجلّ!؟ مستحيل!»

قالت (يارا):

ـ «كان هذا منذ زمن بعيد»

لم يعلق (طارق)، أمسكت (يارا) قلمها وكتبت، ثم ناولت الورقة لـ(طارق) الذي ناولها ورقته، قرأتها ثم قالت:

ـ «لم أشك فيك للحظة؛ فحماقتك لا يمكن لأحد تقليدها»

قالتها، وسألت (فريد) الذي ذهب وأحضر كيس ثلج وضعه على وجهه، وقالت:

ـ «احك لي عن لقائنا الأول في السجن، لقد حدث هذا قبل القاتل بكثير»

حكى لها (فريد) عن اللقاء حتى انتهى، فقالت (يارا):

ـ «إنه هو»

قال (فريد):

ـ «أريد أن أسمع كل شيء عن خطوبتكما، ولماذا انتهت؟»

قالت (يارا):

ـ «ليس الآن يا (فريد)، ليس الآن»

قال (طارق):

ـ «حسنًا، يمكننا القول أن هذا الفريق آمن، ونحن لن نعيد هذه الاختبارات كل ما التقينا لذلك سنتفق على كلمة سر معينة سنتبادلها في كل مرة نجتمع فيها سويًا من جديد، وستتغير هذه الكلمة في كل لقاء»

قالت (يارا):

ـ «جيد جدًا، يمكننا العمل هنا بأمان، ولكن يجب أن نعرف كيف يتابع القاتل التحقيقات، إن هذا هو خيطنا الوحيد إليه»

قال (طارق):

ـ «سنصل إليه»

قال (فريد):

ـ «أرجو أن لا تكون فكرتك هي إشعال النار في المكان لتدع الألم يخرج القاتل»

قال (طارق):

ـ «اطمئن، أنا لم ألكمك من أجل الاختبار، إنه شيء أردت فعله منذ قابلتك»

قال (فريد):

ـ «أحمق!»

قال (طارق):

ـ «ماذا قلت؟»

قالت (يارا):

ـ «حسنًا، والآن ما هي خطوتنا التالية؟»

12

تطلع (طارق) إلى مدير الوحدة (بي_6) الذي جاهد ليخفي التوتر البادي على وجهه، نهض من مكانه، تناول كوب ماء، ورشف منه فقال (طارق):

ـ «هل تعرف سبب زيارة السيد نائب رئيس الوزراء؟»

قال المدير:

ـ «لقد تلقيت معلومة بموعد الزيارة دون أية تفاصيل أخرى، ولكني أعتقد أنني أعرف السبب»

ـ «وما هو؟»

ـ «سيلقي بالمزيد من اللوم والتقريع علينا، ويذكرنا كم نحن فاشلون كسالى لا نقوم بعملنا، وهم يضعون كل إمكانيات الدولة تحت تصرفنا»

ـ «لا أعتقد أن هذا هو السبب، إن ما ذكرته من لوم وتقريع هو أمر يقومون به طوال الوقت دون الحاجة إلى إرسال نائب رئيس الوزراء إلينا، لابد أن هناك أمرًا آخر»

ـ «مثل ماذا؟»

ـ «لا أعرف بالضبط، ولكننا سنعرف بعد قليل»

التقط المدير قدح الماء، ورشف منه رشفة أخرى، ثم قال:

ـ «هذه القضية اللعينة تحطم أعصابي، أنا لم أواجه أمرًا كهذا من قبل؛ فالقضية ذاتها لغز عجيب يتحدى قدرتي على التفكير، بالإضافة إلى الضغط الهائل الذي نتلقاه من الإدارة، ومن الصحافة، ومن الشعب، على نحو لم أشهده من قبل، بالإضافة إلى أنه لدينا معلومات مؤكدة عن هجوم إرهابي تخطط له منظمة (بي_واي 3) الإرهابية، المعلومة تقول أن الهجوم سيكون قريبًا، وضخمًا للغاية، ولم نتمكن من الوصول للتفاصيل بعد»

تطلع (طارق) إلى المدير، إذا كان يشعر هكذا لمجرد ضغط القضية، فماذا سيفعل لو عرف أن القاتل قريب منه للغاية، ويتابع ما يفعله لحظة بلحظة؟ لقد فكر في الاستعانة به في البحث فسيكون من الجيد وضع إمكانيات الوحدة الكبيرة للبحث عن متغير الشكل، ولكنه تراجع سريعًا، فكيف سيخبره بوصوله إلى هذه المعلومة؟

ناوله المدير عدة أوراق قائلًا:

ـ «انظر، هذا هو آخر تقرير حصلت عليه من فريق البحث، إنه يحوي الكثير من الكلام، ولكن الخلاصة أنه لا يحوي معلومة واحدة مهمة»

قال (طارق):

ـ «سنصل إليه، لدي يقين في ذلك»

ـ «أتمنى أن يكون لدي مثل يقينك!»

مرت دقيقة، ثم دخل أحد الحراس يعلن وصول نائب رئيس الوزراء. نهض المدير من مقعده وخلفه (طارق)، وسارا ليصافحا النائب الذي تطلع إليهما قائلًا:

ـ «مرحبًا بكما أيها السادة»

قالها، ثم أشار إلى رجل خلفه قائلًا:

ـ «العميل (ج) من جهاز الأمن الملكي»

تبادل الأربعة التحية، ثم جلسوا حول منضدة في طرف الغرفة لحظات من الصمت، قال النائب:

ـ «أين وصلنا في قضية الأميرة؟»

قال القائد:

ـ «إننا نبذل قصارى جهدنا للوصول إلى القاتل، نحن نقوم بالعمل على عدة محاور للـ....»

قاطعه النائب قائلًا:

ـ «وفر حديثك المنمق هذا للصحافة. إنني أسالك، وأريد إجابة واضحة، هل نحرز أي تقدم في القضية؟»

صمت القائد، فقال (طارق):

ـ «لا»

قال النائب:

ـ «كما توقعنا»

لحظات من الصمت، ثم قال النائب:

ـ «أريدكما أن تسمعاني جيدًا، أنتما تعرفان أن هذه القضية خاصة جدًا، إنها تتعلق بوجه المملكة، الأميرة (سارة). إن خطف الأميرة،

وعجز السلطات عن الوصول إليها يضع كل أجهزة الدولة في موقف سيئ للغاية أمام الشعب، بل إنه يسبب لنا إحراجًا كبيرًا على المستوى الدولي. لقد تلقت الملكة اتصالًا من رئيس دولة يعرض عليها مساعدته في القضية، واستعداده لإرسال محققين يساعدون في البحث، هل تتخيل ما شعرت به الملكة بسبب هذا الاتصال؟ إن هذه القضية تهز صورتنا أمام العالم»

قال (طارق):

ـ «إننا نفهم جيدًا ما تقول، وإننا بالفعل نبذل كل جهدنا للوصول إلى القاتل، و...»

قاطعه النائب:

ـ «أعرف هذا جيدًا، ولست هنا للحديث عن جهودكم. أنا هنا لتقديم حل ينقذ الأمر؛ فمن الواضح أننا لن نصل لأي مكان من خلال التحقيقات، وهذا يهدد بتضاعف هذه الأزمة»

قال المدير:

ـ «ماذا تقصد؟»

قال النائب:

ـ «لقد شرحت لكما كيف أن الأمر سيئ للغاية، ولكن هل يمكنكما تصور كم سيسوء الأمر إذا قتلت الأميرة؟ هل يمكنكما تخيل شكل المملكة في حالة حدوث هذا الأمر؟ ستكون كارثة بكل المقاييس، لقد قدر الخبراء أن هذه الكارثة ستحرق كل شيء، وستعصف باستقرار المملكة»

وخبط بيده على المنضدة مكملًا:

ـ «وهذا ما لن نسمح به أبدًا!»

قالها، وأشار للعميل (ج) الذي أخرج عدة أوراق من حقيبته، ناولها للنائب الذي ناولها لهما قائلًا:

ـ «قبل أن أكمل أكثر، أريدكما أن توقعا هذه الأوراق»

قال المدير:

ـ «ما هذا؟»

قال النائب:

ـ «إنها اتفاقية عدم الكشف»

قال (طارق):

ـ «عدم الكشف عن ماذا؟»

قال النائب:

ـ «سأخبرك بعد أن توقع»

قال المدير:

ـ «ولكن...»

خبط النائب بيده على المنضدة قائلًا:

ـ «هلا وقعت الأوراق اللعينة، ثم نتناقش بعد ذلك!»

نظر (طارق) إلى المدير، فوجده التقط قلمًا، ثم وقع الأوراق وناولها

للعميل (ج)، ففعل مثله. فقال النائب:

ـ «جيد، ما هي معلوماتكم عن المشروع دلتا 3؟»

قال القائد:

ـ «إنه مشروع سري يتضمن تجهيز بدائل للشخصيات الهامة، و...»

قالها، وصمت لحظات، ثم قال:

ـ «لا تقل لي أن هذا ما تريد أن تفعله»

قال النائب:

ـ «هذا بالضبط ما سنفعله»

قال (طارق):

ـ «ماذا؟ ماذا ستفعلون؟»

قال المدير:

ـ «إنهم يريدون استخدام شبيهة للأميرة، والإعلان أنه تم إنقاذ الأميرة»

قال (طارق):

ـ «ماذا!؟ مستحيل! لا يمكنك أن تفعل هذا!»

قال القائد:

ـ «وما موقف الملكة من هذا الأمر؟»

قال النائب:

ـ «الملكة هي من اقترحت هـذا الأمر؛ إنها تعـرف واجبها كملكة نـحـو

وطنها، وقد قدمت هذا الواجب على أي شيء آخر»

قال (طارق):

ـ «وماذا عن الأميرة؟ هل سنتخلى عنها بهذه البساطة؟»

قال النائب:

ـ «لن نتخلى عنها أبدًا، سنواصل جهودنا في البحث عنها كما هي، وسنزيدها»

قال (طارق):

ـ «ولكنك ستعلن أنك قد عثرت عليها، مما سيفقد القاتل ورقته الرابحة، ربما يقتلها غضبًا»

قال النائب:

ـ «بتقدير الخبراء هو لن يفعل»

قال (طارق):

ـ «وهل سنعلق حياة الأميرة اعتمادًا على تقرير خبراء قد يصيب أو يخطئ!؟»

قال النائب:

ـ «وهل لديك حل آخر؟»

قال (طارق):

ـ «ليس لدي، ولكن هذا لا يعني أن حلك صحيح»

قال النائب:

ـ «ومن قال أنه الصحيح؟هل تظن أنني سعيد بهذا الأمر؟ إنه إجراء يائس لإنقاذ ما يمكن إنقاذه كما أخبرتك سابقًا، هل تتصور كيف سيكون شكل المملكة عندما تتصدر الصحف العالمية صورة جثة الأميرة ملقاة في الشارع وفي فمها (زهرة حمراء)؟»

قال (طارق):

ـ «وما أدراك أن الصورة لن تتصدرها بعدما تفعل ما تريد؟»

قال النائب:

ـ «لقد فكر الخبراء في هذا الاحتمال، وقد وضعوا خطة للتعامل مع الإعلام، وعلى كل حال فلن يصدق أحدًا صورة يمكن تزويرها ببساطة، وأمامه الأميرة تنبض بالحياة، وتتحدث معه»

قال (طارق):

ـ «دعني أخبرك بشيء أنت تعرفه بالفعل، هذا الرجل ذكي جدًا، ولن يعجبه ما سيحدث، أن يأتي أحدهم، وينتزع نصره بهذه الطريقة، سيكون رد فعله رهيبًا، لا أعرف ماذا سيفعل بالضبط، ولكني متأكد أن لن يقف صامتًا»

قال النائب:

ـ «هذا هو رأي الخبراء أيضًا، وقد أعدوا الخطة على هذا الأساس»

قال (طارق):

ـ «إذًا فقد فكر الخبراء في كل شيء»

قال النائب:

ـ «نعم، لقد أعد الخبراء خطة محكمة للتعامل مع الأزمة، تتضمن كل الاحتمالات»

قال (طارق):

ـ «إذًا فلماذا تحتاجنا؟»

قال النائب:

ـ «دوركما مهم للغاية، إننا لن نخرج لنعلن للعالم أن الأميرة قد عادت فحسب، بل أنتما من سيعثر عليها، ستصلان إلى القاتل وتقدمانه للمحكمة، وتنقذان الأميرة، باختصار ستحصلان على المجد كله»

قال (طارق):

ـ «ونصبح كبشي الفداء في حالة فشل الأمر»

قال النائب:

ـ «لن يفشل، لدينا خطة محكمة تتضمن كل شيء، فقط قوما بدوركما»

قال (طارق):

ـ «وماذا لو رفضنا؟»

قال النائب:

ـ «أن واثق أنكما أذكى من هذا، وعلى كل حال في حالة الرفض فلن يمكنكما الحديث عن الأمر، وإلا واجهتما المحاكمة بتهمة الخيانة

العظمى كما تتضمن الاتفاقية، وسنجد من يفعل. باختصار، الخطة ماضية ماضية، ولكننا كنا نفضل انضمامكما؛ لأنكما من تتوليان القضية بالفعل، ونحن نريد أن يسير الأمر بصورة طبيعية»

قال المدير:

ـ «ومتى تخطط لإعلان هذا الأمر؟»

قال النائب:

ـ «طبقًا لتقديراتنا، وحساب أوقات الجرائم الأخرى، فسنعلن بعد أسبوع. والآن، هل أنتما معي؟»

تبادل (طارق) والمدير النظرات، قبل أن يقول الأخير:

ـ «نعم، سنكون معك»

قال النائب:

ـ «وماذا عنك يا (طارق)؟»

لم يجب (طارق)، فقال المدير:

ـ «اسمع مني يا (طارق)، إنني أكثر منك خبرة ودراية بكيفية سير الأمور، هذا هو الطريق الصحيح، أنت لا تريد أن تكون عدو الدولة»

فكر (طارق) لدقيقتين، ثم قال:

ـ «لا يبدو أن هناك خيارًا آخر، أنا معك»

نهض النائب من مقعده قائلًا:

ـ «حسنًا، واصلا العمل الجيد حتى تسمعا مني»

13

غادر (طارق) مبنى الوحدة (بي-6)، وقاد سيارته نحو شقة الفريق، شعر بانقباض شديد في صدره، لا يمكنه تفسيره، سيقومون بعمل شبيهة للأميرة، تخرج وتتحدث للإعلام، وتشكره على إنقاذها، سيحصل على المجد كله، فلماذا يشعر بهذا الانقباض الشديد في صدره؟ لم يتصور أنه يهتم بالأميرة إلى هذا الحد، يرى صورتها داخل عقله، يسمع صوتها تصرخ به أن ينقذها، يتذكر كلمات مدير الوحدة: «أنت لا تريد أن تكون عدو الدولة»

ربما هم محقون، ربما هذا هو الحل الوحيد بالفعل؛ لقد استخدمت الدولة كل شيء، واستخدم هو السحر الأسود، والنتيجة واحدة، لا شيء. ربما لم يبقَ إلا الخدعة لتحسم الأمر، ولكن لا، هناك شيء ما غير صحيح. لا يمكنه المضي في هذا الأمر، لا يمكنه أن يكون جزءًا من هذه اللعبة القذرة، لا يمكنه أن يقتل الأميرة بالفعل، ولكن لحظة! لقد أخبره النائب أنهم ماضون في الخطة به أو دونه، أي أن وجوده لن يحقق أي فارق معهم، سيحصل شخص آخر على المجد كله، وسيعود هو إلى مكتبه خاويًا، وقد قتل الأميرة. نعم، في كل الأحوال سيقضي بقية حياته عارفًا أنه قد قتل الأميرة.

حسنًا، فليقضي بقية حياته وقد قتل الأميرة تحت أضواء الشهرة والمجد، بدلًا من أن يقضيها في ركن مظلم في الجحيم، يشاهد الشخص الذي قد أصبح نجمًا بدلًا منه، إنه أكثر شخص يستحق هذا المجد، لقد

خاطر بكل شيء من أجل الأميرة، لقد تعاون مع نكرومانسر، هذا شيء لم يتصور أن يفعله، ولو بعد ألف سنة! اللعنة! ما هذا الجحيم!؟ لا يمكنه أن يرفض، ولا يمكنه أن يقبل.

جذب نفسًا عميقًا، حبسه في صدره لدقيقة، ثم أخرجه. حسنًا، فليؤخر هذا التفكير الآن، لقد قال النائب أن أمامه أسبوعًا حتى يعلن عن العثور على الأميرة، مما يعطيه أسبوعًا كاملًا ليعثر على الأميرة الحقيقية، وينهي هذا الأمر. نعم، سيعثر عليها، ويحصل على مجد مُستَحَق، لا مجدًا زائفًا.

صعد الدرج حتى وصل إلى الشقة، دخل فوجد (يارا) جالسة على هاتفها كالعادة، ووجد (فريد) جالسًا يأكل على طرف المائدة، قالت (يارا):

ـ «ماذا حدث؟ لماذا كان يريدكم النائب؟»

قال (طارق):

ـ «لا شيء، كان يريد تقريعنا كالعادة لأننا فشلنا في الوصول للأميرة»

تطلعت إليه (يارا) للحظات، ثم قالت:

ـ «وجهك هذا ليس وجه لا شيء، أو وجه أمر معتاد. أخبرني ماذا حدث حقًا؟»

قال (طارق):

ـ «لقد أخبرتك، لا جديد..»

قالها وسار للداخل، وألقى بجسده على أقرب مقعد قائلًا:

ـ «هل من جديد؟»

قالت (يارا):

ـ «لقد تحدثتُ مع (الزهرة الحمراء) اليوم»

قفز (طارق) من مقعده قائلًا:

ـ «ماذا!؟ ولماذا لم تخبريني!؟ ماذا أخبرك؟ هل هناك جديد؟»

أشارت (يارا) بيدها قائلة:

ـ «فلتهدأ قليلًا، اهدأ، لم يحدث شيء، لقد كان حوارًا بسيطًا، تحدثنا حول بعض الأمور العامة، هل تعرف مثلًا أن (الزهرة الحمراء) يشجع الفريق الأزرق؟»

قال (طارق):

ـ «ماذا!؟»

قالت (يارا):

ـ «لقد فوجئت مثلك بالضبط، كنت أتوقع أنه يشجع الفريق الأحمر»

قاطعها (طارق) قائلًا:

ـ «أي هراء هذا الذي تتحدثين عنه، أنت تتحدثين مع المطلوب رقم واحد في كل أنحاء المملكة عن فرق كرة القدم!؟»

قالت (يارا):

ـ «وعن ماذا توقعت أن أتحدث معه؟ عن الطريقة المثلى لخطف وقتل الفتيات!؟»

قال (طارق):

ـ «يبدو أنك لا تأخذين هذا الأمر بالجدية الكافية، ولكنه ليس خطأك أنت، إنه خطئي أنا لاعتمادي عليك لتركك تتولين الحديث معه، أعطني هاتفك»

قالت (يارا):

ـ «ماذا!؟»

انتزع (طارق) الهاتف من يدها قائلًا:

ـ «من الآن فصاعدًا لن تتحدثي مع (الزهرة الحمراء)، أنا من سيتحدث معه»

تطلعت إليه (يارا) للحظات، شعر (طارق) بالكلمات تتصارع على شفتيه سينفجر فيها إذا نطقت بحرف واحد، لقد مل من هذا الهراء. فوجئ بها تتراجع، وتجلس قائلة:

ـ «حسنًا، سنفعلها على طريقتك»

قال (طارق):

ـ «جيد، والآن متى سيدخل (الزهرة الحمراء)؟ هل اتفقتم على ميعاد للحوار التالي؟»

قالت (يارا):

ـ «لم نتفق، إنه يدخل ويتحدث في أي وقت»

جلس (طارق) على المقعد يتطلع إلى الهاتف بين يديه، اللعنة على هذه

التكنولوجيا الحديثة! لديه القاتل قريب منه، يشعر أنه يمكنه أن يمد يده فيمسكه، ولكنه في الحقيقة أبعد ما يكون عنه، لا يعرف عنه أي شيء، إنه كمن يحاول القبض على خيط من الدخان.

ما هي الخطوة التالية؟ لديه القاتل على الهاتف، يجب أن يجعله يتخلى عن حذره للحظة واحدة، لحظة واحدة ستكون كافية لكي ينقض عليه، ربما يجعله يتحدث معه مباشرة، دون الحماية، ربما يجعله يأتي إليه، أي شيء! ولكنه متأكد أن لن يتحدث إليه عن المباريات الرياضية!

ماذا لو عرفت (يارا) ما سيحدث؟ خطة الحكومة لاستبدال الأميرة بواحدة أخرى، وأنها ستخرج من هذا كله خاوية اليدين، سيجن جنونها بالتأكيد، وستقوم الدنيا، ولن تقعدها ولكنها لن تتمكن من فعل أي شيء في النهاية، سيكون عليها قبول الأمر الواقع، وأنها قد خسرت، وستعود إلى قوقعتها الخاصة مع سكرتيرتها التي لا تظهر، لو كان الأمر بيده لجعلها تحصل على جزء من المجد معهم، فكما قالت هي سابقًا: (يوجد مجد يكفي الجميع)، هذا أفضل من أن يتكرر السيناريو القديم مرة أخرى، صحيح أن الوضع مختلف هذه المرة، ولكنه ما زال تقريبًا نفس الشيء.

مضى الوقت، والصمت ثالثهما، فخرج (طارق)، وقرر العودة إلى منزله. ركب سيارته وقادها حتى هناك، وهو يختلس النظر بين الحين والآخر إلى الهاتف منتظر اللحظة التي تصله فيها الرسالة، وصل إلى منزله فدخل، كانت زوجته جالسة تشاهد التلفاز وبجوارها ابنته الصغيرة، نهضت زوجته وحيته سريعًا، ثم قالت:

ـ «كيف حالك؟ كيف حال القضية؟»

لم يعلق (طارق)، وسار للداخل، يشعر أنه لم يعد لديه أية طاقة للتعامل معها، لقد استنفذ كل طاقته، كان ينبغي أن تنتهي هذه الحياة منذ أيام، إنه يريد أن يفعلها بشدة، ولكن لا يستطيع أن يفعلها الآن، لديه ما يكفيه من التفكير، وليس لديه أية طاقة للتعامل معها؛ فهو يعرف أنها لن تتقبل الأمر جيدًا، ستستقبله بمختلف الانفعالات، ستصرخ، وتبكي، وتتوسل، وتسبه، وتضحك، وتسخر، وتخبره أن هذا هو الأفضل، وأنها لن تتمكن من العيش دونه، وتغضب وتهدأ، وكل شيء، إنها لا تعرف ما تريد، ولن تعرف هل تريد أن تبقى معه أم لا! ربما هذا هو سبب ذهاب الحب بينهما؛ فهو دائمًا لديه هدف واضح يتحرك نحوه، ولديه رؤية شاملة لكل حياته، وكيف يريدها أن تكون. لحقت به وأخذت تحدثه عن العديد من الأشياء، حاول تجاهلها لفترة، وفي النهاية قال:

ـ «إنني متعب جدًا، وأريد أن أستريح»

خرجت وأغلقت الباب خلفها. ألقى جسده المنهك على الفراش، يشعر كأنه كان يخوض حربًا جسدية، أن عقله يستنفذ طاقة جسده كلها، أغمض عينيه فغلبه النوم سريعًا، رأى نفسه يسير في الشارع ممسكًا كرة نار، يستوقف المارة، ويسأل الواحد منهم: «هل أنت (الزهرة الحمراء)؟»، وقبل أن يجيب، يضع كرة النار على جسده، فيرتفع صراخه، ارتفع صوت الصراخ بشدة حتى شعر به يغطي كل شيء، ثم سمع صوت رنين مميز يقتحم الحلم، فتح عينيه، وبحث عن المصدر، كان قادمًا من هاتف (يارا)، التقطه بسرعة فتح البرنامج الحواري

كانت هناك رسالة جديدة من القاتل، فتحها فوجد:

ـ «هل شاهدت الحلقة الجديدة من المسلسل؟»

همس لنفسه:

ـ «ما الذي يتحدث عنه هذان الاثنان!؟ هل يظنان نفسيهما صديقين!؟»

فكر للحظات، إنه لا يريد أن يخسره، وفي نفس الوقت لا يريد أن يجاريه في هذا الحديث التافه، يجب أن يفكر سريعًا، كتب:

ـ «ما رأيك بها؟»

قالها، وفتح الإنترنت، وبدأ يقرأ ملخصًا سريع للحلقة، لحظات ثم جاءه الرد:

ـ «كانت رائعة، لقد كانت أفضل بكثير من توقعي»

كتب (طارق):

ـ «لم أكن أظن أن هناك من هو قادر على كسر توقعاتك»

جاءت الرسالة:

ـ «ولا أنا»

يجب أن يقوم بتغيير اتجاه الحوار، لن يضيع المزيد من الوقت، إن كل دقيقة تمر لها ثمنها، وربما يتسبب في موت الأميرة، سيستعمل طريقة (يارا) المباشرة، كتب:

ـ «دعنا من الحديث عن المسلسلات، والمباريات، فلنتحدث عن شيء

آخر»

تشكلت حروف رسالة جديدة:

ـ «مثل ماذا؟»

ـ «حدثني عن نفسك»

مرت ثلاث دقائق دون إجابة، فهمس (طارق):

ـ «هل أضعته؟»

دخلت زوجته في تلك اللحظة قائلة:

ـ «هل تريد أن أحضر لك الطعام؟»

أشار إليها قائلًا:

ـ «ليس الآن»

تطلعت إليه للحظات، غادرت الغرفة سريعًا. وبقي هو يحدق في الهاتف، يبدو إن (يارا) كانت محقه، لقد أخافه، فتح الهاتف، وبدأ يكتب، كتب عدة حروف، ومسحها ماذا يمكنه أن يكتب ليعوض هذا الخطأ؟ كتب في النهاية:

ـ «عنيت القليل عن نفسك، أنت تعرف الكثير عني بالفعل»

ولكن قبل أن يضغط زر الإرسال جاءته الرسالة:

ـ «لقد مضى الكثير منذ آخر مرة تحدثت إلى أحدهم عن نفسي، أعتقد أنه سيكون من الجيد فعلها على سبيل التغيير، ماذا تريدين أن تعرفي؟»

مسح (طارق) ما كتب، وصفق بيديه قائلًا:

ـ «هكذا يتم الأمر!»

كتب (طارق):

ـ «أخبرني عن أول مرة تغير فيها شكلك»

مرت دقيقتان، ثم وصل الرد:

ـ «أنت تعيدين إليّ ذكريات بعيدة، كانت المرة الأولى في صغري أثناء المدرسة الابتدائية، كان هناك متنمر في الفصل، ضخم الجثة يتعمد مضايقة التلاميذ، جاءني ذات مرة وبدأ مضايقتي، بلغ بي الغضب مبلغه، فقمت بدفعه ليسقط أرضًا، نهض والشر يتقافز من عينيه، فعرفت أنني هالك لا محالة، ولكن أحد المدرسين ظهر في تلك اللحظة فلم يتمكن من فعل شيء، ظل ينظر إليّ ويتوعدني طوال بقية اليوم الدراسي، ويخبرني أنه سيقتلني فور الخروج من المدرسة، بمجرد انتهاء اليوم حملت حقيبتي، وركضت، ظللت أركض حتى شعرت بألم شديد في جسدي، ولم أستطع مواصلة الركض، فاختبأت خلف جدار نصف متهدم، شعرت بآلام شديدة في وجهي لم أستطع تفسيرها، مر المتنمر وأصدقاؤه وركضوا بجواري، ورغم أنهم نظروا إليّ إلا أنهم واصلوا الركض! لم أفهم يومها كيف لم ينتبهوا إليّ! أنا متأكد أنهم نظروا إليّ جيدًا، ولكنهم لم يتوقفوا. عرفت فيما بعد أن تلك كانت هي المرة الأولى التي يتغير فيها شكلي.

كتب (طارق):

ـ «ومتى عرفتَ أنك متغير الشكل؟»

لحظات، ثم جاءت الرسالة:

ـ «حدث هذا بعده بسنوات، كنت أشاهد أحد الأفلام، وكنت شديد الإعجاب بالبطل وبقدرته على هزم الجميع، تمنيت كثيراً أن أصبح مثله، بل أن أصبح هو، نمت في مكاني أثناء المشاهدة، حلمت أنني قد أصبحت هو، وأنني أقوم بهزيمة الأعداء مثله، عندما استيقظت في الصباح فوجئت بوجهه يطالعني في المرآة، كان شعوراً رهيباً»

ـ «وماذا فعلت لحظتها؟»

ـ «مالك تكثرين من الأسئلة اليوم؟ لماذا غيرت أسلوبك؟»

شعر (طارق) بالتوتر يغزو جسده، وبقطرات العرق الباردة تتحرك على جبهته، عبارته القادمة ستكون حاسمة، إما أن يجذبه إليه، أو يفقده للأبد. يبدو أن (يارا) كانت محقة، كان عليه أن يتركه يأتي إليه بدلًا من إخافته بهذه الطريقة، كتب:

ـ «لا شيء، إنني فقط أريد أن أتعرف عليك»

لا، مسح العبارة، تبدو بائسة أكثر من اللازم، عليه أن يفكر كـ(يارا)، ماذا كانت (يارا) ستكتب؟ فكر لنصف دقيقة، ثم كتب:

ـ «هذه المعلومات ستكون مفيدة لي عندما أصدر كتابي عنك بعد أن أقبض عليك»

ضغط (إرسال)، لم يطل انتظاره، وصلته الرسالة:

ـ «أريد كتاباً يتفوق على كتابك عن القاتل الشبح»

كتب (طارق):

ـ «سيكون إلياذة هذا العصر»

جاءت الرسالة:

ـ «بالطبع شعرت بالخوف، بالتوتر، بالقلق. لم أكن أعرف ما الذي يحدث لي، وما الذي غير شكلي بهذه الطريقة، ظننت أنني قد تعرضت لاستحواذ شيطاني، ولم أعرف هل سيصرف عني أم لا! استمر الأمر لعشر دقائق كاملة قبل أن أستعيد شكلي الأصلي. كانت أصعب عشر دقائق مررتُ بها في حياتي كلها. حدثتني نفسي بعدها أنني كنت أتوهم، ولكنني كنت واثقًا أن ما رأيته حقيقي؛ لم يكن وجهي هو الذي طالعني في المرآة. بحثت كثيرًا على الإنترنت عن شيء مماثل، وهناك اصطدمت بالكلمة لأول مرة، (متغير الشكل)، وعرفت حقيقة ما حدث معي»

كتب (طارق):

ـ «لا شك أنه كان اكتشافًا مذهلًا»

جاءت الرسالة:

ـ «(مذهل) كلمة لا تقترب من وصف ما حدث، لقد تغيرت حياتي حرفيًا بعد هذا الاكتشاف، تخيلي أن تمتلكي الإمكانية لتصبحي ما تريدين حرفيًا، كل شيء متاح، يمكنك أن تحصلي على ما تريدين، لا شيء خارج حدودك! أريدك أن تغلقي عينيك للحظة، وتفكري لدقيقة كيف سيكون شعورك لو حصلت على هذه القدرة!»

أغلق (طارق) عينيه، وبدأ يفكر، أن يحصل على القدرة على تغيير شكله، يمكنه أن يكون أي شخص في أي وقت، يا له من شعور رائع! بل

مرعب! مرعب إلى حد كبير! تخيل وجود شخص بهذه القدرة يمكنه أن يفعل أي شيء باسم أي شخص، يمكنه أن يحول نفسه لأي شخص، ثم ينطلق فيعيش حياته، ويحصل منها على ما يريد، يمكنه أن يحيل حياة أي شخص إلى جحيم، يمكنه أن يفعل أي شيء بالفعل، ولا يمكن لأحد إيقافه، يا له من شيء رهيب!.... انتبه لصوت الرسالة:

ـ «يبدو أنك قد سبحت بعيدًا»

كتب (طارق):

ـ «إنه أمر مرعب، لقد أصابني الصداع من محاولة تخيل الأمر!»

جاءت الرسالة:

ـ «إنه نفس ما حدث لي عندما أدركت أنني أمتلك هذه القدرة، لقد جلست مكاني لساعات عاجزًا عن الحركة، لم أستطع فعل أي شيء من كثرة الأشياء التي جاءت على خاطري»

تابع في نص رسالة جديدة:

ـ «لقد قضيت يومين كاملين دون أن أفعل أي شيء، فقط أفكر بهذه القدرة وكيف اكتسبتها وماذا يمكنني أن أفعل بها. ثم مساء اليوم التالي قررت أن أفعلها، وقفت أمام المرآة لأقوم بتغيير وجهي، وهنا كانت المفاجأة...»

كتب (طارق):

ـ «ما الذي حدث؟»

لحظات قصيرة، ووصل بعدها الرد:

ـ «لم أتمكن من فعلها، حاولت كثيرًا دون فائدة، ظل وجهي يتطلع إليّ من الناحية الأخرى ساخرًا»

كتب (طارق):

ـ «لابد أنه كان إحساسًا مخيفًا، أن ترى وجهك يحدق إليك عبر المرآة!»

فكر (طارق)، بل الجملة التي كتبها هي المخيفة، أن يكون الطبيعي هو ألا يرى المرء وجهه في المرآة! جاءت الرسالة:

ـ «لقد استغرق الأمر يومًا كاملًا حتى نجحتُ في تغيير شكل وجهي، لم أغيره إلى شكل شخص معين، بل إلى شكل مشوه أقرب للحيوانات، ولقد استغرقتُ ساعات حتى تخلصت منه، لقد ظننت لفترة أنه لن يذهب أبدًا»

كتب (طارق):

ـ «لابد أنها كانت فترة عصيبة. ألم يكن هناك أحد بجوارك؟ والدك؟ والدتك؟ أي شخص؟»

ظهرت الرسالة:

ـ «استغرق الأمر فترة طويلة حتى تعلمت تطويع هذه القدرة والسيطرة عليها، تعلمتُ الاسترخاء وتخيل وجه الشخص الذي أريده في ذهني، وأترك التحول يتم بسلاسة شديدة. ولكن الغريب أن الوقت الذي استغرقته لتعلم السيطرة على هذه القدرة غيّر الكثير في طريقة تفكيري؛ لم أعد الشخص الجشع الذي يفكر فقط في استخدامها في إشباع رغباته بل فتحت أمامي أبوابًا جديدة لهذه القدرة، شعرت أنه يمكنني أن أرى أخيرًا بالطريقة الصحيحة»

كتب (طارق):

ـ «وماذا رأيت؟»

ثم كتب أيضًا:

ـ «وهل تعلمت بمفردك؟ أم هناك من ساعدك؟»

مرت دقيقة، ثم جاءت الرسالة:

ـ «هناك شيء مختلف بشأنك اليوم، أنت لم تكوني هكذا!»

14

انتفض (طارق) في مجلسه عندما قرأ الرسالة، إن القاتل يشك فيه، إنه على وشك خسارته للأبد، رسالته القادمة ستكون حاسمة، يجب أن يفكر جيدًا قبل أن يكتب، يجب أن يفكر سريعًا، ماذا كانت (يارا) لتفعل؟ إنه يعرفها أكثر من أي شخص، لذلك فهو قادر على تقمص شخصيتها لدقيقة، (يارا) لم تكن لتجيب، إنها تتجنب الحديث المباشر، وهذا ما سيفعله. انتظر دقيقتين، ثم كتب:

ـ «أعتذر على التأخير، لقد ذهبت لأحضر بعض العصير، الجو حار اليوم»

مرت دقيقتان و(طارق) يتطلع إلى الشاشة، ترى هل سينجح؟ جاءت الرسالة:

ـ «العصير جيد في هذا الطقس الحار، ربما نتقاسم واحدة ذات يوم»

ماذا يقصد الرجل بتقاسم واحدة؟ أراد أن يسأله ولكنه تراجع، لقد كاد أن يكشف نفسه بسبب كثرة الأسئلة، وصله نص رسالة جديدة:

ـ «إنني أفكر بزيارتك»

شهق (طارق) في فزع، كتب:

ـ «متى؟»

ولكنه تراجع في اللحظة الأخيرة قبل أن يضغط (إرسال)، هذه الرسالة

فخ من القاتل، إنه ما زال يشك فيه، ولكنه ليس متأكدًا، عليه أن يلعب دوره جيدًا، ويتقمص دور (يارا)، مسح الرسالة وكتب:

ـ «أتمنى ألا تلمس شيئًا من كتبي، لقد استغرق الأمر دهرًا لأقوم بترتيبها»

جاءته الرسالة:

ـ «أعرف ما تتحدثين عنه، إن عملية التنظيف السنوي لمكتبتي من أصعب الأشياء التي أفعلها»

تذكر (طارق) صورة المكتبة التي رآها خلف الأميرة في اليوم الأول فكتب:

ـ «ربما يمكنك أن تجعل الأميرة تساعدك هذا العام، لقد سمعت أنها قارئة جيدة، لابد أنها قد أحبت مكتبتك»

جاءت الرسالة:

ـ «إنها لم تقرأ أي شي حتى الآن، إنها تقضي معظم وقتها متقوقعة في ركن الغرفة، أحيانًا أشعر أنها ليست الأميرة التي نعرفها، ليست تلك المرأة التي كانت ملء السمع والبصر، لقد تغيرت كثيرًا»

همس (طارق) لنفسه:

ـ «أيها الأحمق!»

ثم كتب:

ـ «وماذا كنت تعتقد؟ أنها ستنهض لتعانقك في الصباح والمساء، أتعرف بالنسبة لشخص ذكي جدًا مثلك، أنت في منتهى الغباء»

فكر في حذف الجزء الأخير، ولكنه كان غاضبًا فضغط إرسال، جاءه الرد:

ـ «أتعرفين متى كانت أول مرة استخدمت فيها قدرتي على التحول؟ أذكر ذلك اليوم كأنه الأمس، لقد استخدمت تلك القدرة لأوقع العقاب على متنمر الفصل الذي ذكرته سابقًا، لقد ظل معي في مختلف المراحل التعليمية، اتخذت شكله، دخلت إلى غرفة أشد مدرس في المدرسة، وقمت بتمزيق كل كتبه، وأوراقه، تعمدت أن أجعل المدرس يراني وأنا أفر هاربًا. جاء المدرس غاضبًا إلى الفصل، وعاقبه أمام الفصل كله بقسوة شديدة، لقد تلقى العقاب مذهولًا لا يعرف ما فعل، بالضبط نفس شعور ضحاياه عندما يتلقون أذاه، لقد شعرت يومها أخيرًا أن العدالة تتحقق، كان شعورًا لا يوصف»

كتب (طارق):

ـ «لا تقل لي أنك قررت ارتداء قناعًا وعباءة وأن تصبح بطلًا خارقًا!»

جاءت الرسالة:

ـ «ليس بالضبط، ولكنني قررت بالفعل أن أصبح محاربًا للجريمة»

احتار (طارق) كثيرًا كيف يجيب على هذه الجملة، هناك الكثير من التعليقات تتقافز إلى ذهنه. (الزهرة الحمراء) يعمل محاربًا للجريمة، أي أمر هذا! ولكن قبل أن يكتب وصلت رسالة تبعت سابقتها:

ـ «كان ذلك بعد هذه الواقعة بسنوات، شعرت أنه يمكنني أن أجعل هذا العالم مكانًا أفضل، بدأت أتابع نشاطات العصابات المحلية، آخذ شكل بعض أعضائهم، وأجمع المعلومات عنهم، كنت أشعر بالأمان

التام لأن أحدًا لن يعرفني، وبالتالي لن يصل إليّ، وكانت هذه خطيئتي الكبرى، فلم آخذ حذري على النحو الكافي، مما تسبب في تلقي لضرب مبرح كدت أن أفقد حياتي معه»

كتب (طارق):

ـ «وهنا قررت أن تصبح (الزهرة الحمراء)، قررت أنك إذا كنت لن تستطيع المقاومة فلتنضم إلى المعسكر الآخر»

جاءته الرسالة:

ـ «بالعكس تمامًا، لقد عدت أكثر إصرارًا على مقاومة الجريمة، وعليّ أخذ حذري هذه المرة، انطلقت أجمع المعلومات بحذر، فلا يكفي أن تأخذ شكل الشخص المطلوب، السر كله في أن تعرف كيف تدخل وتخرج بسرعة وبلا أثر، فلا يكتشف الشخص الذي اتخذت شكله أنك فعلت هذا، يجب أن تنتبه بحيث لا يعود الشخص فيخبره أحدهم أنه كان هنا منذ قليل، يجب أن تختار توقيتك، وكلماتك وحركاتك بعناية شديدة، لقد استغرق الأمر سنوات لأتقن هذا الأمر»

كتب (طارق):

ـ «إذًا فهكذا تتابع التحقيقات القديمة»

جاء رد سريع:

ـ «ماذا؟»

كتب (طارق):

ـ «أرجوك، لا تحاول إهانة ذكائي! فكلانا يعرف جيدًا أنك كنت تتابع

تحقيقات الشرطة عنك، وهكذا تتمكن من تعديل خططك، وتسبق الجميع دائمًا بخطوة، وأعتقد تتابع التحقيقات الآن»

جاءت الرسالة:

ـ «أنت ذكية بالفعل، أتساءل لماذا اختفيت وسط الظلال كل هذه السنوات!»

كتب (طارق):

ـ «أخبرتك سابقًا أنه لم يكن هناك تحد يستحق»

وصلت الرسالة:

ـ «اعذريني إذا لم أصدق هذا التبرير، لابد أن هناك سببًا آخر»

فكر (طارق) للحظات، إنه يكره التحدث عن هذا الأمر، ولكنه لا يريد أن يفقد التواصل، ولا يمكنه المغامرة بالكذب، فربما قام (الزهرة) بالتحري عن (يارا)، وساعتها سيكون لديه جزء من الحقيقة، وسيكتشف كذبه، كتب:

ـ «الحقيقة أنني كنت مخطوبة لمحقق شرطة، أحببته كثيرًا، ولكننا انفصلنا، فكرهت كل ما يتعلق بالمجال وابتعدت»

جاءت الرسالة:

ـ «لا أعتقد أنك تقولين الحقيقة كاملة يا سيدتي»

كتب (طارق):

ـ «أتعرف؟ لقد أحببتك أكثر عندما كنت الزهرة الحمراء الصامتة»

رسالة جديدة:

ـ «اذكري لي الحقيقة كاملة، وسأسمح لك بسؤال في المقابل أجيبه أيًا كان»

فكر (طارق)، هذه فرصته ليحصل على أول معلومة حقيقية عن (الزهرة الحمراء)، عليه أن يرتب أوراقه جيدًا، يجب أن يحقق أقصى استفادة من هذا السؤال، يجب أن يعرف معلومة تفيده في الوصول إليه، ماذا يمكنه أن يسأله؟ لقد قال (سؤال واحد)، لذلك يجب أن يكون سؤالًا لا يمكنه التلاعب بإجابته، ويعطيه معلومة ناقصة، يجب أن يكون سؤالًا حاسمًا، فكر، فكر، كتب (طارق):

ـ «حسنًا، الحقيقة أنني عملت مع هذا المحقق على أحد القضايا، وبالفعل نجحنا في الوصول إلى القاتل، ولكننا لم نتمكن من إثبات التهم عليه، حاولنا كثيرًا وفشلنا، اقترح المحقق دس الدليل للإيقاع به، قال أننا لا نقوم بأي خطأ، إن هذا قاتل، ويجب تخليص المجتمع منه، وأن فعلنا هذا ليس جريمة، بينما قلت أنا أنها جريمة، لا يهم غرضها، إنها تظل جريمة في النهاية، اختلفنا كثيرًا، وحدث شجار كبير، أدى إلى انفصالنا مع أنني أحببته كثيرًا، راقبته، وهو يقدم القاتل للعالم، وينال كل الشكر، والتقدير، كرهت كل شيء بعدها، ولم أستطع أن أعلن أنه من زور الدليل للإيقاع بالقاتل، وقعت في حيرة من أمري بعدها، كيف أحارب الجريمة بالجريمة؟ ما الفرق بيني وبين القاتل إذًا؟ حاول خطيبي كثيرًا أن يشرح لي أن ما فعلناه هو عين الصواب، ولكنني لم أقتنع أبدًا، ولم أستطع أن أفكر جيدًا من بعدها، حاولت تولي قضايا أخرى، ولكنني لم أستطع جمع تفكيري»

فكر (طارق) قبل أن يضغط زر الإرسال، يا للهول! للمرة الأولى منذ انفصاله عن (يارا) يرى الأمر بوضوح، لقد كان غاضبًا منها بشدة حتى أنه لم يفكر في الأمر من وجهة نظرها، والآن عندما تقمص شخصيتها للحديث مع القاتل يرى أنها كانت لديها وجهة نظر قوية بالفعل، لقد كانت مقتنعة تمامًا بما تقوله، الآن فقط يرى هذا، لم تكن مجرد حمقاء تتمسك بآراء بالية، وتحاول جعل نفسها قديسة كما ظن، لقد آذاها كثيرًا دون أن يدري، هز رأسه، ونفض هذه الأفكار عنه، سيكون لديه الكثير من الوقت ليفكر فيها لاحقًا، عليه الآن أن يجهز سؤالًا جيدًا يمكنه من الوصول لـ(للزهرة الحمراء)، ضغط زر الإرسال، دقيقة ثم جاءت الإجابة:

ـ «إنه اختيار صعب بالفعل، في الماضي كنت سأختار خطيبك، ولكن حاليًا سأختار اختيار اختيارك، ولكن ليس لأنني قديس أو شيء من هذا القبيل، ولكن لأنني قد وصلت إلى قناعة تامة أن البشر لا يستحقون الإنقاذ، لذلك كنت سأترك القاتل طليقًا»

لحظات، ثم جاءت رسالة أخرى:

ـ «والآن دورك، ولكن اختاري بحرص فلديك سؤال واحد فقط»

فكر (طارق)، يجب أن يركز تفكيره، سؤال لا يمكنه أن يتلاعب بإجابته فلا يكسب شيئًا، يجب أن يكون سؤالًا مباشرًا يساعد في الوصول إليه، ولا يمكنه التلاعب به، هل يسأله عن اسمه؟ عنوانه؟ أين يحتفظ بالأميرة؟ لا، هذه الأسئلة يسهل التلاعب بإجاباتها، سيخبره بشيء مبهم يحتاج إلى سؤال آخر لتوضيحه، وساعتها لن يسمح له بالسؤال الآخر. فكر، ثم كتب:

ـ «متى ستأتي لزيارتي؟»

لحظات، ثم جاءت الإجابة:

ـ «السبت، السابع والعشرون من مايو»

صفق (طارق) بيده، إذًا فقد حصل على الموعد، هذه هي أول معلومة حقيقية يحصل عليها، الآن فقط يمكنه أن يقبض عليه، ولكن لحظة إن (الزهرة الحمراء) يعرف أنه سيبلغ الشرطة وكل الأجهزة الأمنية سيكون هناك مهرجان في انتظاره في الشقة، فكيف يخبره بالموعد بهذه البساطة، لابد أن في الأمر خدعة ما، كتب:

ـ «هل أنت متأكد؟»

جاءته الرسالة:

ـ «هذا سؤال آخر، ولكني سأجيبه. (الزهرة الحمراء) لا يكسر وعده أبدًا»

همس (طارق) لنفسه:

ـ «إذًا فقد وقعت أيها الأحمق»

هذا الرجل مغرور للغاية، إنه يظن نفسه أذكى من الجميع، حتى أنه سيغامر بأن يأتي إلى (يارا) في منزلها، وهو يعلم جيدًا أن نصف الدولة ستنتظره هناك، لابد أنه يدبر أمرًا آخر، ولكن لا بأس، سيكون هذا آخر أمر يدبره في حياته البائسة، لقد حصل على ما يريد، ولكنه لن ينهي الحوار، سيحاول الحصول على المزيد من المعلومات عنه، كتب (طارق):

ـ «بما أنني أخبرتك بأدق أسراري، أريدك أن تخبرني لماذا تحولت من محارب الجريمة إلى (الزهرة الحمراء)؟»

جاءت الرسالة:

ـ «لم يكن تحولًا، بل كانت رحلة طويلة. أولًا، أن مكافحة الجريمة لم تكن سهلة كما كنت أعتقد، بل كدت أفقد حياتي عدة مرات. وثانيًا، وهو الأهم، أنني كونت قناعتي الخاصة أن البشر لا يستحقون الإنقاذ، فأكثر من مرة أخاطر بحياتي لأوقع بمجرم، ثم أفاجأ به وقد خرج بعد أيام قليلة، إما بسبب ضابط فاسد، أو شاهد زور، أو قانون أعور. على أن ما كسرني حقًا هو تعرضي للأذى من الأشخاص الذين حاولت مساعدتهم، لقد فوجئت أنني الأحمق الذي يحاول مساعدة أناس لا يريدون أن يساعَدوا، لقد هاجموني، وقاتلوني، ومجّدوا المجرمين، عندئذ قررت أن أترك كل شيء وأبتعد»

كتب (طارق):

ـ «أعرف ما تتحدث عنه، لقد جربت هذا الشعور من قبل، أن يخذلك الجميع بلا استثناء حتى من تحاول مساعدتهم، إنه شعور قاسٍ يتسلل إلى حياتك فيفسدها، ويقتل كل جميل فيها»

ظهرت الرسالة:

ـ «ولكنني لم أقرر الاختباء وسط الظلال مثلك، بل قررت أن أستمتع بحياتي إلى أقصى حد، أن أفعل كل شيء، ويمكنني القول أنني قد فعلت، دخلت أماكن لا يحلم معظم الناس بزيارتها، أقمت في أفخم الفنادق وأكلت في أغلى المطاعم، وقابلت مشاهير، ودبلوماسيين،

وغيرهم، جربت شعور أن يصطف الناس لمصافحتي، أن ينحنوا أمامي، جربت كل شيء، ولكنني كنت كلما جربت أكثر ازداد جوعي أكثر، لقد زاد جوعي حتى تأكدت أنني لو التهمت العالم كله فلن أشبع»

لحظات، ثم جاءت الرسالة:

ـ «لقد اكتشفتُ أنني غرقت وسط كل هذا الزخم حتى نسيت أن أعيش حياتي، بل أنا ليست لي حياة أصلًا، أنا مجرد صورة مقلد مشوهة لعدد من الأشخاص، أنا لم أعش حياتي، ولم أحقق أيًا من أحلامي الحقيقية، عرفت أنني لست مميزًا، بل أنا ملعون، محظوظ هو من ولد بوجه واحد، يعيش، ويواجه الحياة، يضربها، وتضربه، يطحنها وتطحنه، إن كل ما فعلته كان بلا فائدة. وهنا قررت أن أكف عن كل شيء، وأن أذهب وأعيش حياتي الطبيعية بوجهي الطبيعي»

كتب (طارق):

ـ «لا أظن أنني أستطيع أن أفعل ما فعلته أبدًا، لا أظن أنني كنت سأتوقف عن استخدام هذه الموهبة»

جاء الرد:

ـ «صدقيني إنها مثل غيرها من الأشياء المزيفة، تبدو لامعة مبهرة للعينين من بعيد، لكن ما إن تحصل عليها حتى تكتشف أنها لم تكن كما كنت تعتقد، إنها مثل المخدرات، تضعك في عالم من السعادة الوهمية، تجعلك تفتقد متعة العيش، العيش الحقيقي متعة أن تكون أنت وتواجه حياتك»

كتب (طارق):

ـ «ومن الذي يريد أن يواجه حياته؟ أنت الوحيد الذي امتلك حلم البشرية منذ زمن بعيد؟ حلم أن تكون لديك القدرة على ترك حياتك بكل مشاكلها وتذهب لتبدأ من جديد متى أردت»

جاءت الرسالة:

ـ «حسنًا، أنت ستهربين عندما تتعقد الأمور، وثقي بي عندما أقول لك أنها تتعقد دائمًا، لذلك ستظلين تهربين دائمًا، وفي النهاية ستجدين أنك كنت تهربين طوال حياتك، ولم تجدي فرصة واحدة للتوقف لتعرفي إلى أين أنت ذاهبة»

كتب (طارق):

ـ «لا أعتقد أن هناك أي شيء تقوله يمكنه أن يغير وجهة نظري، إنني مستعدة لأحصل على هذه القدرة إذا كنت ستتخلى عنها»

تراصت حروف رد جديد:

ـ «هذه اللعنة لا يمكن الحصول عليها، إننا نولد بها، وتظل معنا للأبد»

وقبل أن يكتب (طارق) رسالة أخرى، جاءت الرسالة:

ـ «سأذهب، ونكمل لاحقًا»

أغلق (طارق) الهاتف، ثم همس لنفسه:

ـ «موعدنا يوم السبت، السابع والعشرين من مايو»

15

اعتدل (طارق) في مجلسه في الشقة المقابلة لشقة (يارا)، تطلع إلى ساعته، لقد تجاوزت الساعة العشرة مساء، ولم يظهر أي أثر لـ(الزهرة الحمراء) حتى الآن، قال (مروان):

ـ «هل تظنه سيظهر؟»

قال (طارق):

ـ «سيظهر»

قال (مروان):

ـ «لا أظنه سيفعل، إنه يعرف بالتأكيد أن (يارا) ستبلغ الشرطة، يعرف أنه سيجد كل شرطي في المدينة في انتظاره هنا»

قال (طارق):

ـ «ولهذا السبب سيأتي»

قال (مروان):

ـ «لا أظنه غبيًا إلى هذا الحد»

قال (طارق):

ـ «لا يتعلق الأمر بالغباء، بل بالذكاء. رغبته في أن يثبت نفسه أنه أذكى من الجميع، إنه أفضل من الجميع، أن يأتي إلينا، ويسخر منا في عقر

دارنا ثم يولي منصرفًا، هذا الرجل نرجسي للغاية، ولذلك سيأتي»

قال (مروان):

ـ «ستكون نرجسيته هذه سبب نهايته»

قال (طارق):

ـ «أتمنى هذا»

قالها، وتراجع للخلف في مقعده، وهو يثبت بصره على شقة (يارا)، أجرى اتصالًا سريعًا معها ليتأكد أن كل شيء بخير، ثم أغلق الهاتف. يا لها من امرأة شجاعة للغاية! أو حمقاء للغاية! عندما أخبرها بحواره مع (الزهرة الحمراء)، وأنه سيأتي لزيارتها، لم تبد عليها ذرة خوف واحدة، أو حتى تبدي أي نوع من الانزعاج، ما هذه المرأة التي تعرف أن قاتلًا متسلسلًا على وشك زيارتها فتصفق بكفيها قائلة:«رائع!»!؟

على النقيض تمامًا كان رد فعل (فريد)، لقد صرخ، وهاج، وماج، واتهمه أنه يستخدمها كطعم، وأنه لا يهمه إلا مجده الشخصي، هذا النوع الغاضب من رد الفعل يمكنه فهمه، والتعامل معه. أما (يارا) فلا يمكنه فهمها، لا يمكنه تصور أن تخاطر بحياتها بهذه الطريقة من أجل المجد الشخصي فحسب.

حاول إقناعها بأن يبقى معها في الشقة، ولكنها رفضت تمامًا، أخبرته بأنها لا تريد أي شيء يمكنه لفت نظر القاتل، إنها واثقة أنه يراقبها، وسيعرف إذا كان أحدهم معها، ولذلك قرر الاختباء مع (مروان) في شقة مقابلة لها، مما يمنحه رؤية شاملة لشقتها، والشارع أمامها، وهناك كذلك أربعة من رجال (مروان) في سيارتين متوقفتين بالقرب

من المنزل. (يارا) في منزلها، ومعها مسدس ضخم لا يظن أنه سيفيدها كثيراً في حال ساءت الأمور، ولكنه يمنحه نوعًا من الاطمئنان.

كانت (يارا) هي من رفضت بشدة الاستعانة بالسلطات، وقالت أن القاتل قد اخترق التحقيقات، ويعرف كل شيء، مما يجعل وجودهم بلا فائدة، وأصرت على الاكتفاء بـ(مروان) ورجاله.

كيف سيفعلها (الزهرة الحمراء)؟ كيف يخطط للدخول والخروج، وهو يعلم أن المكان مراقب؟ الرجل ذكي جدًا، ومتغير الشكل، ولكنه ليس شبحًا، إنه يعرف أنهم سيراقبون أي شخص يدخل الشقة، حتى لو كان شخصًا يعرفونه، فكيف يتحداهم على هذا النحو؟ هل يملك قدرة أخرى لم يعرفوا بشأنها؟ هل ما زالت لديه خدع أخرى؟

نظر في ساعته مرة ثانية، لقد تجاوزت العاشرة والنصف، تبادل حواراً قصيراً مع (مروان)، ثم اتصل بـ(يارا)، وسألها عن أحوالها، أخبرته أن كل شيء بخير، لم يحدث أي شيء غريب، أغلق الهاتف، نبت في رأسه سؤال جديد، هل حقًا سيأتي (الزهرة الحمراء)؟ لماذا يثق في كلامه على هذا النحو؟ ربما كان يعبث بهم، ويثير أعصابهم من أجل متعته الخاصة، لا هذا الاحتمال يبدو بعيدًا، هذا الرجل سيأتي، إنه نرجسي مجنون، وسيأتي، عليه أن يظل حذرًا حتى يتأكد من سلامة (يارا).

(يارا) حب حياته الأول والأخير كما كان يقول دائمًا، لم ولن يحب أحدًا مثلها. ما زال يذكر لقاءهما الأول بكل تفاصيله، كان في الحفل الذي أعد لتكريمها بعد القبض على القاتل الشبح، يذكر أنه شعر بانجذاب شديد نحوها بمجرد أن رآها تخطو إلى الحفل، وذهب للحديث معها، علي الرغم من اتفاق رجال الشرطة على عدم التحدث معها إلا

للضرورة فقط وبشكل رسمي حتى ينتهي الحفل؛ فالواقع أن رجال الشرطة لم يحملوا حبًا كبيرًا لها؛ فكونها كشفت القاتل الشبح بهذه الطريقة بمفردها، قد أوضح عجزهم وفشلهم، ودفع العديدين إلى مهاجمتهم، مما خلق نوعًا من العدائية تجاهها على الرغم من أنها قد شكرت الشرطة مرارًا وتكرارًا في مختلف المناسبات.

بدأ حديثه معها بشكرها على ما فعلت، وأبدى إعجابه الكبير بذكائها، وسألها عن عدة نقاط في بحثها، استمر في الحديث معها طوال الحفلة على الرغم من نظرات زملائه المستنكرة، مما جعلها تقول:

ـ «إن أصدقاءك لا يعجبهم حديثك معي»

قال لها:

ـ «إنهم حمقى لا يدركون كم أنت رائعة!»

ظل يفكر فيها طوال الليل، وفي الصباح التالي اخترع سببًا تافهًا، ودعاها بسببه إلى القسم للحديث معها، سعد كثيرًا عندما رأى ابتسامتها، وهي تجيب على أسئلته السخيفة بجدية كبيرة، وفي نهاية اللقاء قالت له:

ـ «أرجو أن يكون لقاؤنا القادم خارج قسم الشرطة»

تمنى لو يصرخ فرحًا في تلك اللحظة، ولولا خوفه من سخرية أصدقائه لفعل، إنها تقول أنها تريد لقاء آخر، اتصل بها بعد يومين، ودعاها للغداء في مطعم شهير حدثها خلاله عن نفسه، وحكى لها عن عائلته، وهي تستمع له مبتسمة، تكررت اللقاءات، وسرعان ما تمت خطبتهما فقد وجد كل منهما في الآخر ما كان يبحث عنه.

لم يكن حوراهما يدور في مجمله حول الحياة، والمستقبل، وغيره مثل غيرهما من المخطوبين، بل كان يدور في أغلبه عن القتلة، والسفاحين، والجرائم المختلفة. وكانت (يارا) تردد دومًا:

ـ «سنكون الزوجين اللذين يحلان الجرائم، وربما تكتب عنا الروايات البوليسية ذات يوم»

مرا بالعديد من الاختلافات البسيطة، ولكنهما كانا قادرين على تجاوزها، والتفاهم سويًا، حتى جاء خلاف قضية القاتل المتسلسل، كان أول شجار حقيقي مدمر يخوضانه معًا، تجادلا كثير، وفي النهاية لم يتمكن من السيطرة على نفسه، فسبها، ودعاها بالغبية، أخبرها أنها لم تفعل شيئًا، وأنه هو من كان يحركها طوال الوقت، يلقي أمامها بالأفكار لتستخدمها، وتظنها من أفكارها، بينما الحقيقة أنها غبية لا تحسن شيئًا، ثم تركها، وانصرف.

انفصلا تمامًا بعد هذا اللقاء، واختلفت طرقهما، فانطلق هو في رحلة نجاحه التي بدأها بالقبض على القاتل المتسلسل، وتلاها عدد كبير من القضايا الناجحة. كان طيف (يارا) يزوره أحيانًا فيفكر في الاتصال بها، ولكنه كان يصرف تفكيره سريعًا، وينشغل بنجاحه الصاعد، بينما انزوت هي في الظل، واختفت عن الأنظار.

كان يتابع أخبارها في البداية، ثم انصرف عن ذلك، وتزوج إحدى قريباته بعد فترة قصيرة، ليؤكد لها أنها غبية، غبية لأنها خالفته، وتركته يذهب، غبية لأنها لم تأت إليه، وتحاول التصالح معه، ربما كانت غبية كفاية لتظن أنه هو من سيذهب إليها طالبًا رضاها، تظن أنها مميزة، أنها أفضل من الجميع، ولكن الأيام أثبتت أن الأمر كان مجرد ضربة

حظ كما يقولون، بدليل أنها لم تحل أية قضية بعدها، مثلها مثل الأديب الذي يكتب رواية واحدة طوال عمره.

كانت هذه الأفكار وغيرها مما حاول زرعه في رأسه لينساها، ولكن الحقيقة أنه لم يستطع فعلها، ربما كانت تتوارى لبعض الوقت، ولكنها كانت تعود دومًا، يتذكرها كلما أمسك بجريدة، وقرأ خبرًا عن جريمة، كانت لها طريقة مميزة في القراءة، وهي تشير بالقلم إلى الخبر، دائمًا كان معها قلم، حتى ولو لم تكن تكتب شيئًا، لا يعرف لماذا، يتذكر لمعة عينيها عندما يتوصلان إلى نفس الفكرة في نفس اللحظة، فتشير نحوه قائلة:

ـ «ما تفكر فيه صحيح»

يمكنه القول أنه لم يشعر بالسعادة في زواجه نهائيًا، كان يحاول إقناع نفسه أنه سعيد، يخرج مع زوجته، يغدق عليها بالهدايا، يُسمعها أحلى الكلام، ولكنه كان دومًا يعرف أن هناك شيئًا ناقصًا، كانت زوجته مختلفة تمامًا عن (يارا)، فبينما كانت (يارا) تناظره، وتجادله، وتثبت رأيها، كانت زوجته على العكس تمامًا، منبهرة به، تظن أن كل ما يقوله هو الحقيقة المطلقة، كان هذا هو ما جذبه إليها في البداية فهو كان قد مل الجدال، ويحتاج إلى من يستمع فحسب، إلا أنه سرعان ما ملها، وفكر في تطليقها لولا أنها أنجبت له ابنته الوحيدة.

صرف فكرة الطلاق من رأسه، وقرر أن يعيش حياته من أجل ابنته، ومن أجلها سيغير علاقته مع زوجته، غير طريقة تعامله معها تمامًا، وبدأ ينظر إلى مميزاتها بدلًا من التركيز على عيوبها فحسب، ولكن طريقته فشلت تمامًا، بل إن اهتمامه الزائد بها جعله يكتشف عيوبًا

جديدة فيها، مما زاد الفجوة بينهما، ولكنه أصر على البقاء معها من أجل ابنته، تمسك بقراره حتى ظهرت (أحلام)، فانقلب كل شيء.

(أحلام) شرطية جديدة انتقلت إلى القسم، وتم تعيينها لتكون مساعدته، كان يتجنبها في البداية، ولكنه سرعان ما وقع في حبها، فقد كانت تمثل كل ما يبحث عنه، فهي تحمل انبهار زوجته به، وفي نفس الوقت تحمل مشاكسة (يارا) له، بالإضافة إلى مميزات شخصية أخرى تجعلها أفضل من الاثنتين.

تأخر كثيرًا حتى أخبرها بحبه لها؛ فقد كان خائفًا من ردة فعلها لطبيعة عملهما، وكونه متزوجًا، ولكنه فوجئ بها تعترف له أنها تبادله نفس الحب، وأكثر، بل إنها قد انتقلت إلى القسم خصيصًا من أجله. اتفقا على الزواج، ولكن بعد أن يطلق زوجته. هذا القرار الذي أخذ (طارق) يؤجله كثيرًا، فبرغم كل شيء لم يكن فراق زوجته أمرًا سهلًا كما ظن. حسم أمره أخيرًا، ولكن في نفس اليوم اختفت الأميرة قبل أن يفعلها، وتم تكليفه بالقضية. لقد أفسد (الزهرة الحمراء) كل خططه.

فبدلًا من أن يكون مع المرأة التي يحبها يقضون أوقاتًا سعيدة، ها هو يجلس هنا يحمي حبيبته السابقة، مع رجل غامض لا يعرف عنه شيئًا، ويستعيد ذكريات الماضي الأليمة، كأن هذا القاتل لم يأت ليفسد حياته المهنية فحسب، بل والشخصية أيضًا.

يعرف جيدًا أن هذه هي فرصته الأولى والأخيرة للإمساك بالقاتل، فالحكومة ستعلن إنقاذ الأميرة قريبًا، وتنهي كل شيء، ترى كيف سيكون رد فعل (الزهرة الحمراء) على هذا الإعلان؟ يقولون أن لديهم خطة محكمة، ولكنه واثق أن هذا الأمر لن يمر بسهولة، سيكون رد

فعله رهيبًا، لقد حاول تحذيرهم من هذا الأمر، ولكنهم رفضوا، مثلهم مثل كل الأغبياء الذين يرفضون الاستماع.

أفاق من خواطره على صوت (مروان) يتحدث في هاتفه، تبادل معه حوارًا قصيرًا عن (الزهرة الحمراء)، ولكنه توقف عندما سمع صوت إنذار الحريق يدوي في العمارة المقابلة التي تحوي شقة (يارا)، قفز من مكانه، وأسرع نحو الباب قائلًا:

ـ «إنه هنا»

قال (مروان):

ـ «إلى أين تذهب؟ أليس من المفترض أن ننتظر حتى نتأكد من وجوده؟»

قال (طارق):

ـ «(يارا) في خطر، لا أستطيع الانتظار»

قالها وانطلق يركض غير عابئ باعتراضات (مروان)، نعم هو من وضع الخطة، وأخبره أنهم لن يتدخلوا حتى يتأكدوا من وجوده في الداخل، ولكنه لا يستطيع فعلها، لا يستطيع البقاء هنا، وتركها وحيدة مع القاتل. وصل إلى مدخل العمارة، فرأى السكان يغادرون مسرعين في حالة من الفوضى. تجاوزهم وأسرع نحو شقة (يارا)، طرق الباب فلم تجب، هم بكسر الباب، ولكنها فتحته قبل أن ينفذ، تطلعت إليه قائلة:

ـ «لماذا جئت؟»

قال (طارق):

ـ «إنه هنا»

قالت (يارا):

ـ «لا أحد هنا، لم يأت بعد»

قال (طارق):

ـ «لقد قام بتشغيل جهاز الإنذار ليستغل الفوضى للدخول»

قالت (يارا):

ـ «توقعت هذا، ولكني انتظره، ولكنه لم يأت بعد، ولا أظنه سيأتي، فلابد أنه قد رآك وأنت قادم. لقد أفسدت الأمر»

ـ «أنا لم أقصد هذا»

ـ «كان يجب أن تنتظر حسب الخطة، لقد أضعت فرصتنا الوحيدة»

ـ «لا، لم تضع، هذا الرجل لن ينصرف بسهولة، لقد أخبرني أنه سيأتي، وهو يعرف جيدًا ما الذي ينتظره، سيأتي، إن لم يكن هنا بالفعل»

وصل (مروان) في تلك اللحظة، ودخل من باب الشقة المفتوح قائلًا:

ـ «لقد أخبرته أن ينتظر، ولكنه رفض»

أشار (طارق) نحو (يارا) قائلًا:

ـ «هل تسمحين لنا بتفتيش الشقة؟ ربما دخل بالفعل»

أشارت له بالإيجاب، فدخل غرفة، ودخل (مروان). دخلت (يارا) خلفه

قائلة:

ـ «لماذا لم تلتزم بالخطة كما اتفقنا؟»

تطلع إليها للحظات، ولم يجب، لم يعرف بماذا يجيبها، إنه نفسه لا يعرف لماذا فعلها، لقد تحرك دون تفكير، تدفعه فكرة واحدة، (يارا) في خطر، ويجب أن يتحرك. أكملت (يارا):

ـ «سنكمل هذا الحوار لاحقًا. والآن، فلنبحث عن (الزهرة الحمراء)»

خرجا من الغرفة، وسارا نحو غرفة ثانية، لم يجدا شيئًا، دخلا غرفة المكتب، لم يجدا شيئًا، ولكن قبل أن يغادرا أشارت (يارا) نحو كتاب موضوع على المكتب قائلة:

ـ «هذا الكتاب!»

قال (طارق):

ـ «ما به؟»

ـ «لم يكن هنا!»

ـ «هل أنت متأكدة؟»

ـ «نعم، لقد كنت هنا منذ قليل، ولم أضع أي كتب على المكتب»

تحرك (طارق) نحو الكتاب، وأمسكه قائلًا:

ـ «ترى ما...»

بتر عبارته عندما فتح الكتاب، وجد زهرة حمراء صغيرة مستقرة داخله، فقال:

ـ «اللعنة!»

قالها، وأسرع للخارج مناديًا (مروان)، لم يحصل على جواب، دار في الغرف قائلًا:

ـ «أين ذهب هذا اللعين!؟»

جرب الاتصال به، ولكن هاتفه لم يجب، قالت (يارا):

ـ «لقد كان هنا، ولكنه اختفى عندما دخلنا غرفة، وتركناه بمفرده وخرجت لأجد الزهرة داخل الكتاب، فهذا يعني أن....»

قال (طارق):

ـ «لا، يستحيل أن يكون هذا صحيحًا!»

ـ «هذا هو التفسير الوحيد»

أسرع (طارق) للخارج، فأسرعت خلفه، توجه إلى سيارة رجال (مروان) الواقفة للمراقبة، سأل قائدها قائلًا:

ـ «أين (مروان)؟»

قال الرجل:

ـ «لا أعرف، لقد كان معك»

ـ «اتصل به الآن»

التقط الرجل هاتفه، وطلب رقمه، ولكنه كان مغلقًا، ركب (طارق) السيارة، وجلس على المقعد الخلفي، فركبت (يارا) على المقعد المجاور، قال (طارق):

ـ «انطلق بنا إلى منزله الآن»

قال الرجل:

ـ «لا يمكن أن...»

التقط (طارق) مسدسه، وجذب إبرته ثم وجهه إلى رأس الرجل قائلًا:

ـ «انطلق بنا إلى منزله الآن، وإلا أقسم أن أفرغ هذا في رأسك»

انطلق الرجل بالسيارة، و(طارق) يحاول إيقاف تفكيره، لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا، لا يمكن أن يكون القاتل معه كل هذا الوقت دون أن يشعر به، هناك تفسير آخر، وسيصل إليه، وصلا إلى عمارة فخمة. أشار الرجل نحوها قائلًا:

ـ «إنه يسكن في الدور الثالث»

خرج (طارق) من السيارة، تبعته (يارا)، أشار إلى الرجل قائلًا:

ـ «تعال معي»

صعد الثلاثة حتى الشقة، وقفوا أمام الباب، طرقوه مرارًا، فلم يجب أحد، أجبر (طارق) الرجل على التعاون معه حتى كسرا الباب، ودخلوا. كان أول ما رأوه هو (مروان) جالسًا في منتصف الصالة مقيدًا على مقعد خشبي، وعلى فمه كمامة، أزالها (طارق) قائلًا:

ـ «ما الذي حدث؟»

قال (مروان):

ـ «رجل يشبهني تمامًا هاجمني أمس، وأفقدني الوعد، وعندما أفقت

وجدتني مقيدًا هنا»

16

ظل (طارق) جامدًا في مكانه، يتطلع إلى الواقفين حوله بعيون لا ترى، يتكلمون فلا يسمع ما يقولون، كان دَوِيّ الأفكار داخل رأسه عاليًا جدًا، فلا يشعر بشيء مما حوله، كيف حدث هذا كله؟ إنه يشعر بالتصاغر حتى كأنه قد أصبح حشرة صغيرة تدهسها الناس بالأقدام، كأنه يسير عاريًا في شارع مزدحم، ويرجمه الناس بالحجارة، وهم يضحكون. كيف حدث هذا كله؟ في البداية يعجز عن القبض على القاتل، أو التوصل لأي شي عنه، مما جعله يشك في ذكائه الذي طالما ظن أنه لا يوصف، عزى نفسه وقتها بأن العشرات غيره قد فشلوا في هذا، ولكن كم شخصًا من هؤلاء العشرات سيقضي يومًا كاملًا مع القاتل دون أن يكتشف؟ لقد كان دائم الافتخار بقدرته الشديدة على قراءة البشر من النظرة الأولى، ومعرفة دواخلهم، ولكنه اليوم يكتشف أنه أحمق كبير.

أضف على هذا كله تعاونه مع نكرومانسر يأكل جثث الأموات، وقيامه بنبش القبور، واستخراج جثثها منها، والتحدث مع القاتل، وتبادل الحكايات معه، ودَّ لو يقوم فيضرب رأسه بالحائط حتى ينشق نصفين، كيف سمح لكل هذا بالحدوث؟ لقد انهار كل شيء بمنتهى السرعة، لقد أثبت (الزهرة الحمراء) أنه كان مجرد واهم كبير، أنه لا شيء.
أفاق من خواطره على يد (يارا) تهزه قائلة:

ـ «(طارق)! (طارق)!»

تطلع إليها قائلًا:

ـ «ماذا هناك؟»

قال (يارا):

ـ «كف عن لوم نفسك بهذه الطريقة، ما حدث يمكن حدوثه لأي شخص، أنت لم تخطئ في أي شيء»

قال (طارق):

ـ «فقط أحمق كبير هو من يقضي يومًا كاملًا مع (الزهرة الحمراء) دون أن يكتشفه»

قالت (يارا):

ـ «وماذا عن رجال الشرطة الذين شاركهم التحقيقات السابقة؟ بل ماذا عن الذين يشاركهم الآن؟»

قال (فريد):

ـ «لا يمكن لأحد أن يكشف متغير الشكل، الأمر ليس له علاقة بذكائك، هؤلاء القوم ينسخون الشكل بطريقة تخدع الأم في ابنها»

قالت (يارا):

ـ «عليك أن تكف عن لوم نفسك، وتبدأ في التفكير الإيجابي، التفكير في خطوتنا القادمة»

قال (طارق):

ـ «خطوتنا القادمة؟»

قال (يارا):

ـ «نعم، خطوتنا القادمة، ويجب أن نبدأها بهذا السؤال، كيف عرف القاتل بتفاصيل خطتنا؟ ومن الذين تعاون معهم لتنفيذها؟»

قال (طارق):

ـ «الأرجح أنه يعرف كل شيء عنا منذ البداية»

قالها، وصمت لحظة، ثم أشار نحو (فريد) مكملًا:

ـ «أعتقد أنه يعرف بأمرك أيضًا»

تراجع (فريد) خطوة للخلف، وقال:

ـ «ماذا؟ يعرف بأمري؟ هل يعني هذا أنه يعرف أنني أنا من كشف سره؟»

قال (طارق):

ـ «نعم، على الأرجح»

قال (فريد):

ـ «هل سيأتي من أجلي؟»

قال (طارق):

ـ «لا تقلق، لن يستطيع الوصول إليك داخل السجن»

قال (فريد):

ـ «لم أكن أتوقع أن أقول هذا أبدًا، ولكنني بالفعل سعيد بعودتي إلى

السجن»

قالت (يارا):

ـ «فلنترك الحوار الجانبي، ونركز على سؤالنا الأساسي»

نهض (طارق) من مكانه قائلًا:

ـ «أتعرفين؟ لقد تعبت من التفكير، إنني أحتاج الراحة، وليذهب القاتل والأميرة إلى الجحيم»

قالها، وسار للخارج، فأسرعت (يارا) خلفه، وقالت:

ـ «دعني آتي معك»

ـ «لماذا؟»

ـ «لا أشعر أنك بخير، فدعني آتي معك»

ـ «لا، أريد أن أبقى وحيدًا»

قالها، ولم ينتظر ردها، ركب سيارته وانطلق، ربما كانت (يارا) محقة؛ إن ما حدث طبيعي، كم من الناس يمكنه التعرف على متغير الشكل عندما يتخذ شكلًا آخر؟ لقد فعلها عشرات المرات، ولم يفطن إليه أحد، إنه ليس غبيًا، ولكنه طبيعي.. طبيعي.. طبيعي.. شعر بالكلمة تتردد في ذهنه عدة مرات، فهمس لنفسه:

ـ «أنا طبيعي»

«أنا المحقق الأفضل في جهاز الشرطة كله يقال أنني طبيعي، لابد أن نهاية العالم قد اقتربت»، انطلق بالسيارة، كان يبصر الطريق بالكاد،

أوشك أن يصطدم بأخرى، تفاداها بصعوبة، لم يتوقف بل بصق من النافذة، وسب السائق، ثم واصل طريقه حتى منزله، إنه يحتاج أن يشعر بنفسه مجددًا يحتاج إلى شخص يقدسه، باختصار للمرة الأولى في حياته يشعر أنه يحتاج إلى زوجته.

وصل إلى منزله فأسرع إلى الداخل، وجد زوجته جالسة على الأريكة تحتضن ابنتها، والدموع متجمدة في عينيها، اقترب منها قائلًا:

ـ «ماذا حدث؟»

تطلعت إليه بعينين دامعتين، فكرر:

ـ «ماذا حدث؟»

اقترب منها، ومد يده نحوها، ولكنه فوجئ بها تدفعه بعيدًا قائلة:

ـ «لماذا؟»

فقال:

ـ «لماذا ماذا!؟»

نهضت زوجته قائلة:

ـ «لا تتظاهر بالغباء، فأنا اعرف كل شيء!»

سارت مبتعدة عنه، فجذبها من يدها قائلًا:

ـ «أنا لا أفهم ما الذي تتحدثين عنه!»

حررت يدها من يده، ثم قربت هاتفها من يده، فأبصر رسائل متبادلة بينه وبين (أحلام) يعبران فيها عن حبهما، ويتفقان على طلاق زوجته،

قالت زوجته:

ـ «هذه الرسائل التي بينك وبينها»

قال (طارق):

ـ «حبيبتي، أنا لم...»

قاطعته قائلة:

ـ «إياك أن تكذب، أنا أعرف أن هذه الرسائل حقيقية، وأنك مرسلها إلى مساعدتك»

قال (طارق):

ـ «كيف وصلتك هذه الرسائل؟»

قالت زوجته:

ـ «هل هذا ما يهمك؟ كيف وصلتني هذه الرسائل؟ حسنًا، سأريحك يا سيادة المحقق، قد أرسلها لي شخص مجهول»

ـ «وهل تصدقين شخصًا مجهولًا؟»

ـ «هل تقول أنها غير حقيقية؟»

خيم الصمت لدقيقة، فقال (طارق):

ـ «أنا لا أعرف ماذا أقول»

قالت زوجته:

ـ «أريد أن أسألك سؤالًا واحدًا، هو لماذا؟ لماذا تفعل هذا بي؟»

لم ينطق (طارق) بكلمة، فأكملت هي:

ـ «لقد كنت أفضل زوجة لك، وقد عاملتك أفضل ما يكون، وهذا هو جزائي»

قالتها، ودفعته للخارج قائلة:

ـ «اذهب إليها، اذهب إليها الآن، لا أريد أن أرى وجهك مرة ثانية»

غادر (طارق) الشقة مسرعًا، وركب سيارته، ثم انطلق يقودها بأقصى سرعة ممكنة، لم يرَ الطريق أمامه من شدة غضبه، أوقف السيارة على جانب الطريق، وأخذ يلهث على نحو عنيف كأنما انتهى من سباق طويل، ما الذي يحدث له؟ كيف تحطم كل شيء بهذه السرعة؟ خسر نفسه، خسر مهنته، والآن خسر بيته وزوجته. وما سر هذا الشعور الغريب الذي يشعر به؟ لا يعرف هل هو غاضب؟ أم حزين؟ أم ماذا؟

لقد كان على وشك مفارقتها لولا أنه تولى هذه القضية الملعونة، فلماذا هو حزين الآن؟ لقد كان رد فعلها أقل كثيرًا مما توقع عندما كان يفكر في إخبارها، لقد توقع أن تثور وتغضب وتملأ الدنيا صراخًا، وأي من هذا لم يحدث، فلماذا هو غاضب كل هذا الغضب؟ لابد أن الأمر لم يكن بسببها بل بسبب أنه قد أخذ على حين غرة، من هو هذا الغامض الذي سرب إليها الرسائل؟ وكيف دخل إلى هاتفه، ونجح في نسخها؟ إنه ليس هاتفًا عاديًا، إنه جهاز من جهاز الشرطة يفترض أنه يستحيل اختراقه، وما الذي يعرفه أيضًا هذا الغامض؟ هل يعقل أن يكون هو؟

دق هاتف (يارا) معلنًا استقبال رسالة، وجدها من (الزهرة الحمراء) ففتحها سريعًا، قرأ:

ـ «ما رأيك في هديتي يا سيد (طارق)؟ هل أعجبت زوجتك؟»

شعر بالدم يغلي في عروقه، وبعينيه توشكان على القفز من محجريهما، وهو يحدق في هذه الكلمات، إذًا هذا اللعين هو من فعلها، إنه مستمر في طريقه لإفساد حياته تمامًا، لقد أفسد حياته كمحقق حتى أنه قارب على فقدان الثقة في نفسه، والآن يفسد حياته الزوجية أيضًا، ماذا يريد منه؟ والسؤال الأهم هو كيف عرف؟ كيف يعرف كل هذه المعلومات عنه؟ لقد ظن أنه من يقود الحوار، ولكن اتضح أن هذا (الزهرة الحمراء) كان يقوده من البداية نحو النقطة التي يريدها، كان يعرف كل شيء من البداية ويتلاعب به، ولكنه لن يتركه يشمت به، كتب:

ـ «كانت ضربة موفقة، ولكن الأمر لم ينته»

جاءت الرسالة:

ـ «سينتهي قريبًا»

كتب (طارق):

ـ «ماذا تقصد؟ لا تقل لي أنك قد بلغت من الجنون حدًا يجعلك تقدم على إيذاء الأميرة»

جاءت الرسالة:

ـ «لا افهم سر اهتمامكم الشديد بالأميرة، أليست مجرد امرأة، وأنا قد قتلت قبلها، فلماذا لم تولوهم كل هذا الاهتمام؟»

كتب (طارق):

ـ «دعني من هرائك الفارغ هذا، وأخبرني كيف فعلتها»

مرت دقيقة، ثم جاءت الرسالة:

ـ «الساحر لا يكشف خدعته أبدًا»

كتب (طارق):

ـ «أتعرف ماذا أيها الأحمق؟ لا أبالي لو كنت متغير الشكل، لو كنت تملك ألف وجه حتى، لو كنت الشيطان نفسه، سأصل إليك وأحطم وجهك»

أرسلها، ثم أضاف:

ـ «لا أحد يعبث معي»

جاءت الرسالة:

ـ «سأكون في انتظارك»

هم (طارق) بإلقاء الهاتف خارج السيارة، ولكنه تراجع في آخر لحظة. قاد سيارته والغضب يتفجر في جسده، ويلقي بحممه داخل رأسه. وصل إلى شقة (يارا)، صعد سريعًا ثم دخل، استقبلته (يارا) قائلة:

ـ «ماذا حدث؟ لا تبدو على ما يرام»

ألقى (طارق) جسده على أقرب مقعد، وجذب نفسًا عميقًا، ثم زفر في قوة قائلًا:

ـ «(الزهرة الحمراء) يعرف كل شي عنا، إنه يعرف أننا نعمل معًا، وأنني من كنت أكلمه»

قال (فريد):

ـ «يا ويلي!»

تطلع إليه (طارق)، وود لو ينهض ويلكمه في وجهه، ولكن لم يكن في جسده طاقة، فأشاح بوجهه عنه، ثم قال:

ـ «ليس هذا فحسب، إنه يعرف كل شيء عنا، حتى أدق أسرار حياتنا الشخصية»

قالت (يارا):

ـ «ماذا تقصد؟»

قال (طارق):

ـ «لقد اخترق هاتفي وحصل على رسائل شخصية جدًا»

قالت (يارا):

ـ «ما هذه الرسائل؟»

صمت (طارق) دقيقة، ثم قال:

ـ «لا يهم محتواها، ولكن المهم أنه يعرف كل شيء عنا ونحن لا نعرف أي شيء عنه»

وصمت لحظة، ثم أكمل:

ـ «إنه يسبقنا بخطوات عديدة»

قالت (يارا):

ـ «الحقيقة أن كلامك هذا قد أكد لي فكرة كانت قد خطرت لي سابقًا، أعتقد أن لدي طرف خيط للوصول إليه»

قال (فريد):

ـ «ماذا؟»

قال (طارق):

ـ «وما هو؟»

قالت (يارا):

ـ «هذا الرجل ليس ساحرًا، صحيح أنه متغير الشكل، وهذه قدرة نادرة، وتمنحه مزايا كبيرة، ولكن لها حدودها في النهاية، إنها لا تجعله شبحًا، إن أول ما يجب أن نفعله للقبض عليه هو نزع هالة التقديس التي تحيطونه بها، والتفكير فيه على أنه مجرد رجل عادي، وليس أكثر»

قال (طارق):

ـ «لقد أثبت أكثر من مرة أنه أكثر من مجرد رجل عادي»

قالت (يارا):

ـ «إنه رجل عادي، ولكن يحسن استخدام قدراته جيدًا، وما هي قدراته التي نعرفها؟ أولًا، هذا الشخص متغير الشكل. ثانيًا، هذا الشخص خبير كمبيوتر. لا أعتقد أن لديه قدرات أخرى»

قال (طارق):

ـ «إلى أين ترمين بكلامك؟»

قالت (يارا):

ـ «لقد فكرت كثيرًا، كيف عرف الرجل خطتنا بكل تفاصيلها؟ وها أنت تخبرني أنه يعرف أنك من كنت تحدثه، وأنه قد اخترق هاتفك أيضًا، هذه الأشياء لا يمكن فعلها بكونه متغير الشكل؛ فهاتفي مثلًا لم يكن هاتفًا عاديًا، إنه هاتف مؤمن جيدًا على نحو يستحيل اختراقه، حصلت عليه من صديق قديم. وكذلك هاتفك، فكيف اخترقهما (الزهرة الحمراء)، إنه يحتاج إلى تكنولوجيا خاصة جدًا ليفعلها، وهذه التكنولوجيا ليست متوفرة للعوام، إنها لدى الحكومة فحسب، لذلك فيجب أن يذهب إليها، ويجب أن يتيح له هذا المكان أيضًا متابعة التحقيقات، باختصار هو يحتاج مكانًا ذا تكنولوجيا فائقة، ويتابع التحقيقات، هل فهمت إلى ما أرمي؟»

قال (طارق):

ـ «مستحيل أن يكون ما تقصدينه صحيحًا»

قالت (يارا):

ـ «(الزهرة الحمراء) موجود في الوحدة (بي-6)»

قال (فريد):

ـ «لقد ناقشنا هذا الاحتمال سابقًا، ووصلنا إلى استحالته، لا يمكن أن يدخل الوحدة ويخرج دون أن يلاحظه أحد»

قال (طارق):

ـ «إنك محقة بالفعل، إنه لا يدخل ويخرج، إنه هناك بصفة دائمة، إنه

يأخذ شكل أحد الموظفين بشكل دائم»

17

جلس (طارق) على أقرب مقعد قائلًا:

ـ «إنه يعمل تحت سمعنا وبصرنا منذ البداية، كيف لم أنتبه إلى هذا الأمر!؟»

قال (فريد):

ـ «أرى أن نقوم بحرق هذه الوحدة بأكملها حتى نجده»

قال (يارا):

ـ «يجب التعامل مع الأمر بحذر شديد، هذا الرجل حريص جدًا، ولو شعر بأية خطر سيذوب للأبد»

قال (فريد):

ـ «وكيف سنجده؟»

قالت (يارا):

ـ «علينا أن نضيق نطاق البحث عن طريق تحديد مواصفات الشخص الذي سيأخذ شكله»

قال (طارق):

ـ «هذا الرجل يمكنه نسخ شكل الآخرين، ولكن لا يمكنه نسخ ذاكرتهم، لذلك يجب أن يكون الشخص الذي يأخذ شكله شخصًا وحيدًا، قليل

التعامل مع الآخرين، يتجنب الاجتماعيات قدر الإمكان»

قالت (يارا):

ـ «بالضبط»

قال (طارق):

ـ «المشكلة أن هذه المواصفات تنطبق على معظم المحللين في الوحدة، إنهم لا يرفعون رؤوسهم عن شاشاتهم طوال الوقت، لا أعتقد أن أحدهم سيلاحظ لو فقد جاره رأسه»

قالت (يارا):

ـ «لا يتعلق الأمر بالوحدة فحسب، بل بالمنزل أيضًا، فهو كما قلنا يعيش حياة الشخص طوال الوقت، لذلك فعلى الأرجح سيأخذ شكل شخص يعيش وحده»

قال (طارق):

ـ «محلل كمبيوتر انطوائي يعيش وحده، هذا يقلل الاحتمالات إلى حد كبير»

قالت (يارا):

ـ «أريدك أن تحضر ملفات الأشخاص الذين تنطبق عليهم هذه المواصفات، وسنقوم بمراجعتها سويًا حتى نجده»

قال (طارق):

ـ «سأرى ما يمكنني فعله»

تسريب بيانات العملاء السرية، في وقت آخر لم يكن ليفعلها أبدًا، ولكنه الآن يشعر أن الأمر لم يعد متعلقًا بمجرد القبض على قاتل متسلسل، أو صناعة مجد شخصي، أو إنقاذ الأميرة، لقد أصبح الأمر ثأرًا شخصيًا، أصبح هدف حياته الوحيد هو القبض على (الزهرة الحمراء)، ولا يبالي بما يحدث بعدها، قالت (يارا):

ـ «جيد، يمكنني تصور نظرة عينيه عندما نلقي القبض عليه، سيكون الأمر أسطوريًا»

فكر (طارق)، كيف تحتفظ بتفاؤلها في مثل هذه الظروف!؟ إنها واثقة تمام الثقة أنهم سيصلون إليه، لا شك لديها في ذلك، حتى أن بعض ثقتها قد انتقل إليه فأعاد له توازنه، سيصلون إليه، ولكن يبقى سؤال آخر، تري هل سيفعلونها في الوقت المناسب؟ قبل أن تعلن الحكومة عن خطتها، ويُظهروا الأميرة البديلة.

كيف سيكون رد فعل (يارا) وقتها؟ وخاصة عندما تراه يتقدم الفريق ليتلقى التكريم؟ ماذا ستظن عنه وقتها؟ بالتأكيد ستظن أنه قد خانها وحصل على المجد كله، هل يخبرها بحقيقة الأمر؟ لا لا يمكن هذا، إنه لا يضمن ردة فعلها، ربما غضبت، وأفسدت الأمر مثل المرة السابقة، لا يعرف ماذا ستفعل، ولكنه واثق أنه لن تقف مكتوفة الأيدي تشاهد جهدها كله يذهب هباء.

نهض من مكانه، نظر في ساعته، وقال:

ـ «سأذهب إلى الوحدة (بي-6)، وسأحضر المعلومات المطلوبة»

قاد سيارته حتى وصل إلى الوحدة، ألقى عليه حارس الأمن التحية، فتجاهله، هذا الأحمق الذي يسمح لـ(الزهرة الحمراء) بالدخول إلى هنا كل يوم لا يستحق أن يتبادل معه التحية، إنه السبب في كل ما يعانيه الآن، واصل سيره متجاهلًا الجميع، إنهم يظنون أنهم الأفضل في مجالاتهم في حين أنهم مجموعة من الخراف الغبية التي لا تحسن القيام بشيء، لم يعد حرق المكان كله يبدو سيئًا إلى هذا الحد، سيتخلص من (الزهرة الحمراء)، ومن حفنة من الأغبياء معه، لا يستثني نفسه بالطبع، إنه غبي مثلهم، بل أكثر.

دخل إلى غرفته الخاصة، تبادل التحية مع (أحلام)، جلس على مقعده. ستكون (أحلام) هي الوحيدة التي يسمح لها بالخروج قبل إحراق المكان؛ ليس لأنه يحبها، ولكن لأنها شخص ذكي، وهي لا تتعامل إلا معه، وبالتالي لا تتعامل مع القاتل، ولا تعرف عنه شيئًا، ربما لو رأته لعرفته، إنها ذكية جدًا.

بدأ العمل على جهاز الكمبيوتر أمامه، استعرض ملفات المحللين العاملين في الوحدة، وبدأ يراجعهم. قام في البداية بفحص مبدئي سريع استبعد خلاله كل من له عائلة يقيم معها حاليًا بصفة دائمة، أم من كانت عائلته بعيدة عنه، أو لا يقيم معها فتركه، لم يبقَ لديه سوى خمسة أسماء فقط، تطلع إليها مفكرًا، إذًا فأنت واحد من هؤلاء الخمسة، أخيرًا يحصل على معلومة حقيقية عن القاتل، لو كان الأمر بيده لقام فورًا، وعذب الخمسة أشد العذاب حتى يظهر القاتل منهم.

أخذ يراجع ملفاتهم ببطء وتأنٍ هذه المرة، ولكنه لم يرَ شيئًا مميزًا فيهم؛ كلهم يصلحون أن يكونوا القاتل، إن كلًا منهم يعيش في قوقعته

الخاصة، ولا يغادرها. أخذ ذاكرة متنقلة، ونسخ عليها الملفات المطلوبة، وهمس لنفسه:

ـ «جريمة أخرى تكفي لسجنك عدة سنوات»

نهض، وهمّ بالمغادرة. لكنه فوجئ بأحد رجال الأمن يخبره أن مدير الوحدة يطلبه، سار معه حتى الغرفة، تبادل معه التحية، وجلس على مقعد أمامه، ناوله المدير ملفًا يحتوي عدة أوراق قائلًا:

ـ «هذا هو ملف العملية»

ـ «أية عملية؟»

ـ «عملية إنقاذ الأميرة»

ـ «تقصد عملية قتل الأميرة»

ـ «(طارق)..»

ـ «أنا لا أفهم أبدًا كيف لا ترون حماقة ما تفعلونه! هذه الخطة اللعينة ستفسد كل شيء، وسينقلب الأمر إلى كارثة أسوأ ألف مرة من التي تحاولون تفاديها، ولن تجنوا منها مجدكم الذي تريدونه»

ـ «مجدنا؟ عن أي مجد تتحدث؟ هل تظن أنني بعد كل هذه السنوات ما زلت أبحث عن المجد؟ إنني أفعلها من أجل الوطن»

ـ «(من أجل الوطن) عبارة تصلح لتفسير كل شيء»

ضرب المدير على المكتب بيده قائلًا:

ـ «هل تظن أنني أحب هذا!؟ إنني أفضل الموت على فعلها، ولكنني كلما فكرت أدركت أن هذه هي الوسيلة الوحيدة لإنقاذ الأمر»

ـ «دائمًا هناك وسيلة أخرى»

ـ «فلتخبرنا بالوسيلة الأخرى، وأعدك أن نترك هذه الخطة فورًا»

صمت (طارق) للحظات، ثم قال:

ـ «ليس لدي طريقة أخرى، ولكن هذا لا يجعل طريقتك صحيحة»

ـ «لقد خضنا هذا الحوار سابقًا، لم يقل أحد قط أنها صحيحة، ولكنها الطريقة الوحيدة»

ـ «وأنا أقول أنها فاشلة تمامًا، أنتم تفكرون في (الزهرة الحمراء) كشخص عادي سيصدم ويستسلم عندما يرى خطتكم العظيمة، ولكن الحقيقة أن هذا الرجل ذكي جدًا، أذكى من الجميع، ويملك إمكانيات تفوق تخيلكم، وسيفاجئكم بما لا تتوقعونه»

ـ «أنت تهول من الأمر، إنه في النهاية رجل عادي، وليس جنيًا»

ـ «رجل عادي حير الجميع كل هذه الفترة!»

صمت المدير للحظات، ثم قال:

ـ «أتعرف؟ لقد فكرت في كل ما تقوله وأكثر، ربما كنت سأرفض العملية، ولكني سألت نفسي سؤالًا واحدًا، ماذا كانت الأميرة ستريد؟ لو كانت معنا الآن ماذا ستختار؟ هل ستختار أن يكون آخر ما يراه شعبها هو جسدها الملقى في الشارع؟ أن يكون موتها هو إعلان فقدان

الشعب ثقته في كل مؤسسات الدولة؟ عرفت أن الإجابة بالتأكيد هي لا، كانت ستقدم روحها سعيدة من أجل المملكة»

خيم الصمت للحظات. فكر (طارق)، إنه محق، هذا ما كانت الأميرة ستفعله بالتأكيد، ولكن هل سيكون الأمر كافيًا، هل حقًا ستنجح خطة الخبراء في السيطرة على كل شيء؟ أم سيفوز (الزهرة الحمراء) بوسيلة ما؟ لا يعرف، ولن يعرف، ولكنه بالتأكيد سيكون سعيدًا بتوجيه صفعة قوية إلى (الزهرة الحمراء) تفسد كل خططه؛ فعلى الرغم من تضييق الاحتمالات إلى خمسة فقط، إلا أنه ما زالت لديه شكوكه في نجاح العملية. مد يده، والتقط الملف. فقال المدير:

ـ «قرار صائب، وأرجو ألا نعود لهذا النقاش مرة أخرى»

ـ «لن نفعل»

قالها (طارق) بيقين تام؛ فهو إما ينجح في القبض على القاتل مع (يارا)، وينقذ الأميرة، أو يفشل فتكون خطة البديلة هي الطريق الوحيد. قال المدير:

ـ «سيتم تدبير لقاء قريب مع الأميرة لتتدربا على أجزاء من القصة سويًا»

ـ «جيد»

قالها، ونهض من مكانه. صافح المدير، ثم غادر. اصطدم في طريقه للخارج بأحد المحللين المشتبه فيهم، فهمس:

ـ «سأحطم وجهك الغبي قريبًا»

قال المحلل:

ـ «ماذا؟»

واصل (طارق) طريقه دون أن يلتفت نحوه، قاد سيارته نحو منزل (يارا)، إنه يوشك على نقل إقامته الدائمة إلى هذا المنزل، لم يعد لديه مكان يذهب إليه سواه، لقد حطم (الزهرة الحمراء) حياته كلها، ولكن صبرًا، لقد أصبح قريبًا منه، إما أن يقبض عليه، أو يفسد عليه خطته. دخل إلى شقة (يارا)، وجدها جالسة تلعب الشطرنج مع (فريد)، تطلع إليهما للحظات، ثم قال:

ـ «تعجبني حالتكما المزاجية العالية»

قالت (يارا):

ـ «لقد احتجت لبعض التفكير المختلف لأنعش عقلي، ولكن النتيجة سيئة، إنني أخسر باستمرار»

قال (فريد):

ـ «لقد أخبرتك أنني قد أكلت جسد أحد خبراء اللعبة سابقًا»

توجه (طارق) نحو المنضدة، دفع اللوحة بيده لتسقط أرضًا، وقال:

ـ «لا مزيد من اللعب!»

قالها والتفت إلى (فريد) مكملًا:

ـ «أو الحديث حول أكل الأجساد!»

همهم (فريد) بكلمات غير مفهومة، قالت (يارا):

ـ «هل أحضرت المعلومات المطلوبة؟»

أخرج (طارق) وحدة التخزين من جيبه، وناولها لها قائلًا:

ـ «إنها تحوي كل المعلومات المتاحة عن الخمسة المشتبه فيهم»

قالت (يارا):

ـ «خمسة فقط؟ جيد جدًا كنت أظن أنه سيكون هناك الكثيرون»

ناولها (طارق) الذاكرة، دستها في الكمبيوتر أمامها، وضغطت أزراره فتراصت البيانات أمامها، وقف (فريد) بجوارها يتطلع إلى البيانات فقال (طارق):

ـ «هل تعرف ما تبحث عنه؟»

قال (فريد):

ـ «أنا لا أبحث عن شيء، أنا أريد أن أشاهد فقط»

تمنى (طارق) في تلك اللحظة لو يلكمه في وجهه، تراجع عن الفكرة؛ فهو لا يريد الاستماع إلى نحيبه المزعج، قال (طارق):

ـ «علينا أن نكون متأكدين تمامًا قبل القيام بأية خطوة؛ فهؤلاء ليسوا أشخاصًا عاديين، إنهم أعضاء وحدة مكافحة الإرهاب. مما يجعل الاقتراب منهم مخاطرة، كما أننا لا نريد أن نخيفه فيهرب من بين أيدينا»

قالت (يارا):

ـ «أعرف جيدًا ما تقوله. سنسير في طريقين، سنفحص هذه الملفات هنا، وسأطلب من (مروان) جمع ما يمكنه من المعلومات عنهم، بالإضافة إلى مراقبتهم من بعيد بحذر شديد»

خيم الصمت للحظات، حتى قالت (يارا):

ـ «لا تبتئس هكذا، لقد وصلنا إليه، وقريب جدًا سيكون في قبضتنا»

قال (فريد):

ـ «(الزهرة الحمراء) يبدو كشخص مثير للغاية، أتمنى لو حصلت على جثته بعد إعدامه»

فكر (طارق)، سيكون هذا عقاب مناسب لما فعله (الزهرة الحمراء)، أن ينتهي به الأمر داخل شخص مثل (فريد).

18

نظر (طارق) في ساعته، ثم التفت إلى (يارا) قائلًا:

ـ «لقد مرّت ساعات، ونحن نعمل دون أن نصل لشيء، أحتاج إلى استراحة قصيرة»

قالت (يارا):

ـ «وأنا أيضًا»

نهض (طارق) من مكانه، وسار نحو الأريكة، تمدد عليها، قالت (يارا):

ـ «المعلومات التي أحضرتها إلى الوحدة بالإضافة إلى التي أحضرها (مروان) لا تكفي لتحديد من منهم القاتل»

قال (طارق):

ـ «نحن لدينا ملفات كاملة تحوي كل تفاصيل حياتهم، لم يبقَ سوى أن نذهب، ونسأل كل واحد منهم مباشرة (هل أنت القاتل أم لا؟)»

خرج (فريد) من إحدى الغرف، وقال:

ـ «أخيرًا توقفتما عن البحث والنقاش، لقد ظننت أنكما لن تتوقفا أبدًا»

لم يعلق أحد، فقال (فريد):

ـ «هل عرفتما من هو؟»

نهض (طارق) من مكانه، سار للخارج قائلًا:

ـ «أحتاج إلى بعض الهواء النقي»

خرج مسرعًا، قاد سيارته بلا هدف، جاهد كثيرًا لإبقاء ذهنه بعيدًا عن التفكير في القضية، يحتاج إلى الراحة لبعض الوقت، والقيام بشيء آخر، فكر في الذهاب إلى منزله لرؤية ابنته، لقد كانت رؤيتها دائمًا قادرة على مسح همومه، ولكنه ليس في حالة تسمح بمواجهة زوجته حاليًا.

قاد سيارته نحو مطعم شهير في وسط المدينة، هذا المطعم هو مكانه المفضل، هنا خرج مع (يارا) للمرة الأولى، هنا اعترف لها بحبه، هنا تبادلا نقاشات لا تنسى، لقد شهد هذا المكان أفضل لحظات حياته. نزل من السيارة، دخل المطعم، اختار طاولة في ركن المطعم، وجلس على مقعد أمامها، حاول تركيز تفكيره على ذكرياته السعيدة، ولكنه لم يستطع؛ فبجواره كان هناك شخصان يتجادلان بصوت عالٍ حول الأميرة و(الزهرة الحمراء)، أشار لهما بخفض صوتهما، فاعتذر أحدهما، وخفضا صوتهما لدقيقة ثم عاد ثانية.

هنا بدأ الشجار الذي أنهى علاقته مع (يارا)، لقد تجادلا أول الأمر هنا، ثم أنهياه في الخارج، يسأل نفسه الآن للمرة الأولى بعد كل هذه السنوات، ترى كيف كانت حياته ستكون لو ظل مع (يارا)؟ لقد أخبر نفسه وقت انفصالهما أنه لم يكن بسبب الشجار والخلاف، بل بسبب ما يعنيه هذا الشجار، إنه يعني أنهما ليسا متفاهمين كما كان يظن، وأن علاقتهما كانت ستنتهي لا محالة، إذا لم يكن بسبب هذا فبسبب آخر.

يسأل نفسه اليوم، ماذا لو أنه بذل مجهودًا أكبر لتفهمها، لاستيعابها،

لتقريب وجهات النظر إلى أقرب نقطة ممكنة؟ أمر كهذا بالتأكيد سيكون سهلًا لشخصين في مستوى ذكائهما، ما هذا؟ هل يشعر بالندم على انفصاله عنها؟ يبدو أن (الزهرة الحمراء) قد جعله رقيق القلب، أين (طارق) القديم الذي كان يرى عيوبها فقط، ولا يرى لها ميزة واحدة؟ يبدو أنه قد رحل مع (طارق) الذكي.

سؤال آخر يطرحه على نفسه منذ البداية، «لماذا اختارته (يارا)؟» لقد أخبرته بعدة أسباب مقنعة، ولكن هذه الأسباب تعني أنها تحتاج إلى شخص بجوارها، وليس بالضرورة أين يكون هو هذا الشخص، فلماذا اختارته، هل حقًا لأنها تثق به كما أخبرته، أم أن هناك أمرًا آخر؟ ابتسم، وهز رأسه، «لقد ذهبتَ بعيدًا بتفكيرك هذه المرة، أمر آخر، أي أمر آخر تريده بعد كل هذه السنوات؟ لو كانت تريد شيئًا لفعلتها منذ زمن بعيد. إن احتمالية انتهائها مع (فريد) أكبر من احتمالية انتهائنا معًا».

إنها لا تفكر فيه، ولا في أي شخص آخر، إنها لا تفكر في أي شي سوى استعادة حياتها الماضية، بدلًا تلك الحياة الغريبة التي تعيشها، لا يتصور كيف تعيش هكذا؟ محاطة بالمجرمين من كل جانب، ليس لها أصدقاء سواهم، كل حديثها معهم وعنهم، سيكون من الجيد أن تعود للاختلاط بالآخرين، ربما يدعوها إلى الغداء هنا بعد انتهاء القضية، همس لنفسه:

ـ «انتبه! أنت تنزلق في منحنى خطر!»

لم يشهد هذا المكان علاقته بـ(يارا) فحسب، بل شهد أيضًا بداية علاقته بزوجته الحالية، لقد جاهد كثيرًا لمسح هذا المكان من رأسه، لكنه

فشل، خرج معها في الكثير من الأماكن، ولكنه في النهاية جاء معها إلى هنا، يومها فقط شعر أنه يحبها، نفس الشيء تكرر مع (أحلام)، لم يعرف أنه يحبها إلا عندما دعاها إلى هذا المكان.

يذكر جيدًا يوم كان مع زوجته قبل الزواج هنا، لمح بعينه (يارا) تجلس مع شخص آخر على منضدة بعيدة، ارتبك كثيرًا، وتبدلت أموره، لا يعرف لماذا، حتى أن زوجته لاحظت، وسألته عما أصابه فتعلل أنه يشعر بالمرض، ويريد أن يذهب للمنزل، اعتذر لها حتى عن توصيلها في تلك الليلة، وتركها تعود وحيدة، ظل يفكر حتى طلع الصباح، وقد قرر أنه لا يحب (يارا)، ولا يريد أن يعود معها، وليثبت ذلك، قام بالتعجيل بزواجه قبل موعده، وانقطع عن زيارة هذا المطعم لفترة طويلة، حتى ظهرت (أحلام) في حياته.

كانت لعبته المفضلة مع (أحلام) هي النظر إلى الجالسين حولهم، ومحاولة تخيل قصصهم، والرابط الذي يجمعهم سويًا، كانت تأتي بحكايات ممتعة، وتحليلات تعجبه كثيرًا، جرب تلك اللعبة مرة مع زوجته، ولكن ردودها كانت غبية على نحو جعله يندم على التجربة، حاول تجربة تلك اللعبة، ليصرف تفكيره، ولكنه فشل، هناك سحابة ضبابية تغطي عقله، وتمنعه من التفكير بوضوح.

نهض من مكانه، وغادر. ركب سيارته، لم يتحرك، لم يكن يعرف إلى أين يذهب، تبدو كل الطرق مغلقة في وجهه، أرجع رأسه للوراء، أغمض عينيه، ولم تمضِ دقائق حتى غرق في نوم عميق كان يحتاجه بشدة.

استيقظ من نومه على صوت هاتفه يرن، التقط الهاتف، وأجاب، جاءه صوت (يارا):

ـ «أين أنت؟»

ـ «في الخارج، ماذا هناك؟»

ـ «تعال، أريدك، ولا تنسَ أن تحضر معك بيتزا من أجلي»

انتفض في مكانه، إنها لا تريد بيتزا، بل هذه كلمة السر التي اتفقوا عليها ليقولوها أثناء الاتصال إذا كان هناك أمر طارئ، تحسبًا لوجود من يتجسس على المكالمة، قال:

ـ «حسنًا، أنا في طريقي»

قاد سيارته نحو منزلها بسرعة، ترى ما الذي حدث؟ سيقوم بقتلها لو تبين له أن الأمر لا يستحق، وصل إلى شقتها فصعد مسرعًا، قابله (فريد) على الباب قائلًا:

ـ «لقد عثرنا عليه!»

قال (طارق):

ـ «ماذا؟»

قالت (يارا):

ـ «نعم، لقد وصلنا إلى القاتل الحقيقي»

قالتها، وألقت (يارا) مجموعة من الصور أمامه قائلة:

ـ «لقد نجح أحد رجال (مروان) في التقاط هذه الصور للقاتل»

التقط (طارق) الصور، وبدأ يتطلع إليها، كانت ملتقطة لأحد المحللين في بيته عبر النافذة، تظهر المحلل، وهو يسير في شقته بثياب مميزة،

يختفي تدريجيًا خلف أحد الأعمدة، يظهر في الصور التالية نفس الشخص بنفس الثياب، ولكن بوجه مختلف، قالت (يارا):

ـ «لقد حصل المصور على مبلغ ضخم مقابل إبقاء فمه مغلقا، ولكن لا يهم، المهم أننا قد وصلنا إليه»

تطلع (طارق) إلى الصور مرة أخرى، لا يصدق نفسه، هل انتهى كل شيء بالفعل؟ هل وصل إلى القاتل أخيرًا؟ هل ستنتهي هذا المعاناة؟ هل سيحصل على انتقامه أخيرًا؟ قال (فريد):

ـ «هل ستلقون القبض عليه الآن؟»

قال (يارا):

ـ «لا»

قال (فريد):

ـ «ماذا؟»

قال (طارق):

ـ «ما زلنا لا نملك أي دليل ضده»

قالت (يارا):

ـ «لا نحتاج إلى دليل يثبت أنه القاتل فحسب، بل نحتاج أن نثبت أنه متغير الشكل أيضًا، وإلا فر بسهولة شديدة»

قال (فريد):

ـ «لدينا صور تظهر تحوله»

قالت (يارا):

ـ «هذه الصور لا تثبت أي شيء، سيقول أنها مزورة»

قال (طارق):

ـ «لا يجب أن نترك لهذا اللعين أية فرصة يخرج منها»

قالت (يارا):

ـ «نحتاج أن نجبره على التحول، ونقوم بتصوير هذه العملية كفيديو بكاميرا خاصة، ساعتها سيكون دليلًا لا يقبل الشك»

قال (فريد):

ـ «ربما يقول أن الفيديو مزور أيضًا»

قالت (يارا):

ـ «الفيديو يختلف عن الصور، ويمكن بسهولة فحصه والتأكد أنه لم يحدث به أي تلاعب»

قال (فريد):

ـ «الطريقة الوحيدة لتجبره على التحول هي الألم»

قالت (يارا):

ـ «سأطلب من (مروان) أن...»

قاطعها (طارق) قائلًا:

ـ «سأفعلها»

قالت (يارا):

ـ «أنت لست مضطرًا لفعلها، سأجعل (مروان) يـ....»

قال (طارق):

ـ «أنا لست مضطرًا لفعلها، أنا أريد أن أفعلها»

19

«لقد غيرته هذه القضية كثيراً»

ارتسمت العبارة في رأس (طارق)، وهو يعالج قفل باب منزل المحلل ثم يدلف إلى الداخل، البداية كانت التعاون مع نكرومانسر، والنهاية يقتحم المنازل مثل أي لص محترف، من الجيد أن القضية على وشك النهاية، وإلا فمن يدري ما سيفعله لاحقًا، لا يمكنه توقع ما كان هذا القاتل سيدفعه إليه، إنه يشعر بغضب لم يشعر بمثله في حياته كلها، إنه يبذل جهدًا كبيراً لتهدئة نفسه حتى لا يقتله بمجرد أن يراه.

دخل المنزل، وأغلق الباب خلفه، كان منزلًا صغيراً مفروشًا بأثاث بسيط. بحث في أرجاء المنزل لعله يجد شيئًا يدله على مكان الأميرة، مع علمه أن هذا الاحتمال بعيد للغاية، فرجل مثل هذا لن يترك دليلًا خلفه بهذه السهولة، لم يكن هناك ما يستحق الذكر، فقط الأغراض الضرورية فقط، وبعض الكتب، فكر (طارق)، هذا الرجل وحيد للغاية، ويعيش حياة بائسة، ترى هل قتله (الزهرة الحمراء)؟ أم أنه يحتفظ به في مكان ما، ليخرجه عندما تتعقد الأمور، فيتحمل المسؤولية كاملة؟

اختار أصغر غرفة فنقل أثاثها القليل، وثبت مقعدًا في منتصفها، ثم ثبت كاميرا فيديو حديثه يمكنه التحكم فيها عن بعد، بحيث تصور المقعد بطريقة واضحة. أنهى عمله، عاد يدور في المنزل حتى جاءه

اتصال من أحد رجال (مروان) الذي يراقب المكان في الخارج يخبره أن سيارة المحلل تقترب، كمن في أحد أركان المنزل منتظرًا، أخيرًا تغير الوضع، أخيرًا أصبح الصياد بعد أن كان فريسة، متشوق جدًا ليرى ردة فعل (الزهرة الحمراء) عندما يراه في بيته، ستكون لحظة جديرة بالتسجيل.

مر الوقت بطيئًا حتى فُتح الباب ودخل المحلل، انتظر حتى اقترب منه ثم نهض مسرعًا، رآه المحلل فحاول التراجع، ولكنه لم يجد الوقت الكافي لفعلها، فقد صعقه (طارق) بصاعق يدوي فسقط مغشيًا عليه، وقف (طارق) يتطلع إليه، قاوم رغبة عارمة في تحطيم رأسه بمقعد ثقيل، حمل جسده، ونقله حتى الغرفة التي أعدها، وقيده في المقعد بقيود بلاستيكية، ضبط وضعية الكاميرا بحيث تظهر صدره ووجهه فقط، تأكد من عملها، ثم عاد، وانتظر بجواره حتى أفاق، قال (طارق):

ـ «لم تكن تتوقع هذا أليس كذلك؟ كنت تظن أنك ذكي جدًا، أليس كذلك؟ كنت تظن أنني لن أصل إليك، ولكن انظر إلى نفسك الآن»

قال المحلل:

ـ «ما الذي تتحدث عنه؟ ماذا يحدث هنا؟»

قال (طارق):

ـ «أنت تعرف ماذا يحدث هنا، أنا ربحت وأنت خسرت»

ـ «عن أي شي تتحدث؟ هل أنت مجنون؟ إن هذا هو التفسير المنطقي الوحيد لما تفعله يا (طارق)»

صفق (طارق) بيده قائلًا:

ـ «رائع، رائع للغاية، مازلت تمثل دور المحلل، يجب أن اعترف أن أداءك متقن للغاية»

ـ «ما الذي تتحدث عنه أيها الأحمق؟ حل وثاقي الآن»

قال (طارق):

ـ «أظهر حقيقتك»

ـ «أي حقيقة؟»

ـ «أظهر حقيقتك، وإلا جعلتك تظهرها بالقوة!»

ـ «ما الذي تتحدث عنه يا (طارق)!؟ هل أنت مجنون!؟ ما الذي تفعله!؟»

توجه (طارق) نحو حقيبة صغيرة، وفتحها، كانت تحوي عدة محاقن تحتوي على سوائل ملونة، تطلع إليها لحظات ثم قال:

ـ «كف عن هذا الهراء، فأنت تعرف أنني أعرف من أنت، ولن أخرج من هنا حتى أحصل على الحقيقة بوسيلة أو بأخرى، فإما أن تريح نفسك، وتظهرها، أو ترفض، وهذا ما أتمناه فساعتها ستجعلني أستخدم هذه المحاقن معك»

ـ «أي حقيقة تتحدث عنها؟»

ـ «لا تختبر صبري كثيراً أيها (الزهرة الحمراء)!»

ـ «(الزهرة الحمراء)! هل تظن أنني أنا (الزهرة الحمراء)؟»

قال (طارق):

ـ «أنا لا أظن، أنا متأكد أنك هو، ولن أخرج من هنا حتى تظهر وجهك الحقيقي»

ـ «أنت مجنون تمامًا، أنا لست (الزهرة الحمراء)، أنا محلل معك في الوحدة (بي_6)، وتراني كل يوم هناك»

ـ «نعم، أعرف هذا، هذا كله جزء من خطتك»

قالها، والتقط أقرب المحاقن، وكشف غطاءه، ورفعه في الهواء، تأمل سنه قائلًا:

ـ «لقد حصلت على هذه المحاقن من صديق عزيز، أخبرني أنه عند حقن المواد الموجودة فيها داخل الجسم فإنها تسبب آلامًا رهيبة، تتفاوت درجة الألم بين المحاقن، أخبرني أن أسوأها تفوق آلامه آلام الحرق حيًا بكثير، دعنا نأمل أنك ستكون ذكيًا، ولن تصل إليه»

اقترب بالمحقن من ذراع المحلل، فقال له:

ـ «انتظر انتظر.. لا تفعلها.. أخبرني ما الذي تريده؟»

ـ «لقد أخبرتك ما الذي أريده، أظهر وجهك الحقيقي»

ـ «هل هذا اختبار من نوع ما؟ هل تختبرني الوحدة؟ أم ماذا يحدث هنا؟»

قرب (طارق) سن الإبرة من ذراعه، فقال المحلل:

ـ «انتظر، ما الذي ستفعله؟»

غرس (طارق) سن الابرة في ذراع الرجل فصرخ، ولكنه ضغط المحقن فأفرغ محتوياته في عروقه، ثم تراجع للخلف، وتأمل وجه الرجل

للحظات، ثم ضغط زر التحكم فبدأت الكاميرا بالعمل، لحظات وسيكون لديه تسجيل يظهر (الزهرة الحمراء)، وهو يغير شكله.

مرت لحظات، ثم بدأ العرق يتصبب على وجه المحلل، وبدأت علامات الألم تظهر على وجهه، قال:

ـ «ماذا فعلت أيها اللعين!؟»

ـ «فلتعرف أن هذا هو أقل المحاقن ألمًا، وأرجوك ألا تفعل ما أريده الآن حتى أجرب كل الباقية معك؟»

ـ «أنا لست من تظن أيها الأحمق! أنا لست (الزهرة الحمراء)! وما الذي تتحدث عنه بشأن إظهار وجهي الحقيقي!؟ هل تظن أنني أرتدي قناعًا ما!؟ يمكنك التأكد بنفسك أنني لا أرتدي أية أقنعة»

قال (طارق):

ـ «هذه هي أغبى جملة سمعتها في حياتي، يبدو أن الألم يؤثر على تفكيرك»

ـ «ما الذي تتحدث عنه؟»

تحرك (طارق) نحو الحقيبة، التقط المحقن الثاني، كشف سنه، ورفعه في الهواء قائلًا:

ـ «يقولون أنه يجب الانتظار لفترة بين المحقنين، ولكنني لا أملك هذا الوقت، كما أنني أريد أن أعذبك كثيرًا»

ـ «لماذا!؟ أنا لم أفعل لك أي شيء، ما الذي تريده مني؟»

ـ «لم تفعل لي أي شيء! لقد أفسدت حياتي كلها، ولم تكتفِ بالمهنية فحسب، بل أفسدت حياتي الشخصية أيضًا، وجعلتني أخسر زوجتي»

ـ «(طارق)، أريدك أن تفكر جيدًا فيما تقوله، ضع هذا المحقن جانبًا، وفكر للحظة في الجنون الذي تقوله، أنا لم أفعل أي شيء لك، ولا أعرف أي شيء عن حياتك»

اقترب (طارق) منه قائلًا:

ـ «لقد مللتُ منك، ومن أساليبك السخيفة، هل تظن أنك ستهرب مني بهذه الأحاديث الغبية؟ أتعرف ماذا؟ أنا لن أتركك، ستظهر وجهك الحقيقي، أو تخرج روحك، ولا يهم أيهما يحدث»

قالها، ودفع المحقن في يد المحقق الذي قال:

ـ «أيها اللعين!!»

أفرغ (طارق) المحقن في عروقه، تراجع للخلف، ازداد انهمار العرق على جبهة المحلل، وبدأ جسده يهتز بعنف، قال:

ـ «أنا لست (الزهرة الحمراء)! أنا لا أعرف عما تتحدث!»

ـ «لقد ظننتك أذكى من هذا، أنت تعرف أن الأمر قد انتهى، ولا طائل وراء كل ما تفعله»

قالها، وتوجه نحو الحقيبة، التقط محقن، وقال:

ـ «أتعرف؟ لن التزم بترتيب المحاقن، سأتجاوز معك عدة درجات»

ـ «أرجوك! توقف! أرجوك!»

قالها المحلل، وانهمرت الدموع من عينيه، وأكمل:

ـ «أنا لم أعد أحتمل»

ـ «إذًا فلترح نفسك من العذاب، وتعترف»

ـ «ولكني لا أعرف ما الذي تتحدث عنه، أنا لست (الزهرة الحمراء)!»

قرب (طارق) السن من يده قائلًا:

ـ «كما تريد»

قال المحلل:

ـ «انتظر انتظر.. أخبرني على الأقل ما الذي يجعلك تعتقد أنني (الزهرة الحمراء)؟ سأثبت لك أنك مخطئ، وساعتها يمكنك أن تتركني، وتذهب، وأقسم لك أنني لن أخبر أحدًا بما حدث، فقط دعني أذهب»

ـ «الساحر لا يكشف خدعته أبدًا، أليست هذه كلماتك؟»

ـ «أنا لم أقل هذه الكلمات اللعينة أبدًا!»

ـ «أرني وجهك الحقيقي»

ـ «عن أي وجه حقيقي تتحدث!؟»

غرس (طارق) سن المحقن في يده، فال الرجل:

ـ «لا تفعل! سأخبرك بما تريده»

جذب (طارق) المحقن من يده، قال الرجل:

ـ «اللعنة! هذه الأشياء رهيبة، أشعر أن دمي يغلي داخل عروقي!»

ـ «إن ما أخذته هو مقدمة بسيطة، أنت لم تجرب الأفضل بعد»

ـ «أنت مجنون!»

قرب (طارق) الإبرة من يده قائلًا:

ـ «إجابة خاطئة»

ـ «انتظر انتظر.. حسنًا، أنا لست المحلل، أنا شخص يأخذ شكله»

ـ «بداية جيدة»

ـ «ولكنني لست (الزهرة الحمراء)»

دفع (طارق) المحقن في عروقه، قائلًا:

ـ «نهاية خاطئة»

ـ «أنا أخبرك الحقيقة»

ـ «لقد أخبرتني بنصفها فقط، ولكنك تنكر النصف الآخر»

ـ «لأن هذه هي الحقيقة»

ـ «هل تريد أن تلعبها هكذا؟ لا بأس معي، لقد أخذت محقنين حتى اعترفت أنك لست المحلل، كم واحدًا ستحتاج حتى تعترف أنك (الزهرة الحمراء)؟ لا بأس معي لو نفذت الحقيبة كلها، لدي واحدة أخرى»

قالها، ودفع محتويات المحقن في عروقه. لحظات، وارتفع صراخ الرجل عاليًا، ولكن لم يتغير شكله، هذا الرجل لديه قدرة رهيبة على تحمل الآلام، أم أن ما أخبره به الأحمق (فريد) خاطئ، والألم لا يجبرهم على التحول، لا يهم، سيعذبه حتى يجبره على الاعتراف ليجعله يتوقف،

تطلع إلى الرجل الذي سقطت رأسه على صدره، وأخذ يلهث بعنف، هذا الرجل لن ينكسر بسهولة، إنه يعرف أن كسره يعني نهاية حياته لذلك سيقاوم إلى أبعد الحدود.

التقط (طارق) المحقن الرابع، قال الرجل وسط دموعه:

ـ «أرجوك لا تفعل، لم أعد أحتمل، هذا الألم لا يحتمل»

ـ «إذًا فأخبرني بما أريد»

ـ «أنا لست المحلل، إنني عميل خاص من المخابرات الملكية، تم إعدادي بواسطة البرنامج دلتا 3، وانتقلت إلى الوحدة بدلًا من المحلل للقيام بتحقيق سري حول تسريب للمعلومات من الوحدة، لتحديد المسؤول، هذه هي الحقيقة، ويمكنك التأكد منها»

صفق (طارق) بيده قائلًا:

ـ «أعترف لك أنك رجل مذهل، مع كل هذا الألم ما زالت لديك قدرتك على صنع المزيد من الهراء»

ـ «إنني أخبرك الحقيقة، ويمكنك التأكد منها بسهولة، يمكنك الاتصال بـ...»

قاطعه (طارق) قائلًا:

ـ «كف عن هذا الهراء، أتعرف ماذا؟ لن استخدم معك هذا المحقن، سأقفز إلى واحد أعلى»

ـ «أقسم لك أن هذه هي الحقيقة»

ـ «حسنًا، دعني أجاريك في كذبتك، ما هي المعلومات التي تم تسريبها؟

ولمن؟»

ـ «تم تسريب المعلومات إلى جماعة (بي_واي 3) الإرهابية، تم تسريب معلومات خاصة جدًا تتعلق بمركز سري لتطوير الأسلحة»

ـ «أخبرني عن هذا المركز»

ـ «لا أستطيع، هذه المعلومات سرية للغاية»

ـ «أخبرني المعلومات التي تم تسريبها»

ـ «لن أخبرك أي شيء»

ـ «لن تخبرني، أم أنه لا يوجد شيء»

ـ «إن ما أقوله لك هو الحقيقة، ولا يمكنني أن أخبرك أي شيء آخر، هذه المعلومات سرية للغاية»

قرب (طارق) المحقن من جسده قائلًا:

ـ «ستخبرني الآن، أو أستخدم هذا المحقن، وصدقني سيجعلك تتوسل لي لأقتلك»

ـ «لن أخبرك أي شيء، فهلم، وأفعلها، لن أخون وطني، هذه المعلومات...»

بتر عبارته بغتة، فقال (طارق):

ـ «ماذا؟»

ـ «الآن أفهم، الآن أعرف لماذا تفعل كل هذا؟»

ـ «لماذا برأيك أيها العبقري؟»

ـ «أنت تسعى للحصول على المعلومات عن المركز السري، لهذا اختلقت كل هذا الهراء عن (الزهرة الحمراء)، أتعرف ماذا؟ أعتقد أنك سبب التسريب في الوحدة»

ـ «هناك ثغرة بسيطة في خطتك أيها العبقري، أنا لم أدخل الوحدة إلا منذ أيام قليلة، فكيف أكون سبب التسريب، والثاني إذا كنت أريد المعلومات منك، فلماذا لم أسألك مباشرة عنها؟»

ـ «أنا لا أعرف أي أسلوب لعين ملتوٍ تتبعه، ولكنني واثق من شيء واحد»

ـ «وما هو؟»

ـ «أنت تعمل مع منظمة (بي_واي 3) الإرهابية»

لكمه (طارق) في وجهه بمنتهى القوة، بصق الرجل دمًا، فلكمه في وجهه مرتين أخريين، هم بلكمه ثالثة، ولكنه توقف عندما رأى رأسه يسقط على صدره، وقد فقد الوعي، لقد فعل الكثير من الأشياء السيئة، لا ينكر، ولكن أن يتهمه أحد بالتعاون مع الإرهابيين فهذا ما لا يحتمل، لقد تجاوز هذا اللعين كل الحدود.

جلس (طارق) على مقعد مقابل له، الأمر أصعب بكثير مما يظن، إن خبرته تقول أن هذا الرجل لن ينكسر مهما فعل، هذا الرجل مذهل بكل المقاييس، لقد كان يأمل أن يتم الأمر بسهولة، وسلاسة، يوثقه بالفيديو، ثم يعرف منه مكان الأميرة، يعد خطته التي تشرح كيف وصل إليه، يلقي القبض عليه، يسلمه للشرطة، وينتهي الأمر بطريقة نظيفة، ولكن يبدو أنه سيضطر للاستعانة بـ(مروان) لإنهاء الأمر.

هذا الرجل يمتلك قدرات مذهلة، لقد أخبره (مروان) أن الأغلبية ينهارون بعد المحقن الثاني، والبقية ينهارون بعد الثالث، أما هذا الرجل فمصمم حتى النهاية، يبدو أنه يفضل الموت على كشف سره، لن يسمح له بهذا، لن يقتله، يجب أن ينظر في عينيه، ويعرف أنه قد هزمه، سيجعله يعترف بكل شيء مهما تكلف الأمر، إنه لم يعد يهتم بإنقاذ الأميرة، إنه هدفه هو كسره، سيمزق جسده قطعة قطعة لو اضطره الأمر، لن يتوقف حتى يحصل على مراده.

انتظر بعض الوقت حتى بدأ المحلل يستعيد وعيه، فقال (طارق):

ـ «هل أنت مستعد للجولة الثانية؟»

بصق الرجل دمًا، وقال:

ـ «فلتفعل ما تريد ما تفعله لن تحصل مني على أي شيء»

شعر (طارق) بهاتفه يهتز داخل جيبه، ليس هذا وقت تلقي الاتصالات، التقطه، ونظر إلى الشاشة، كانت تظهر رقم (أحلام)، ترى ماذا حدث؟ لقد أخبرها ألا تتصل به إلا إذا كان هناك أمر هام، وضع كمامة على فم المحلل، قال:

ـ «سأعود»

ضغط زر الإجابة، وقال:

ـ «ماذا هناك؟»

ـ «مدير السجن قد اتصل بك، إنه يطلب إعادة (فريد) في أقرب وقت ممكن، يقول أنه طرف هام في التحقيق في جريمة قتل وقعت داخل

السجن، أحد رجال العصابات، ويدعي (محسن رزق) قتل رجلًا بالأمس، يقول أن هذا الرجل هو الذي قتل زوجته، واعترف أيضًا بقيامه بجريمة قتل سابقة، وقال أنه فعلها لأن (فريد) أقنعه أنه هو من قتل زوجته، وقد اكتشف أنه خدعه»

سقط الهاتف من يد (طارق) عند هذه اللحظة، شعر بالعالم يدور به، سقط أرضًا، وأظلمت الدنيا أمامه. يسمع صوت (أحلام) تناديه عبر الهاتف، حاول التكلم، ولكنه فقد القدرة على النطق، شعر كأن جبلًا قد سقط فوق جسده فسحقه، ظل في مكانه لعدة دقائق حتى استعاد قدرته على الحركة، ولكن عقله كان مساحة بيضاء، لا يمكنه التفكير في أي شيء، أسرع للخارج، سقط مرتين في طريقه، ولكنه نهض وواصل حتى سيارته. قاد السيارة بأقصى سرعة ممكنه حتى وصل إلى منزل (يارا)، فتح الباب، ودخل مسرعًا، هناك شيء يبدو متغيرًا، نادى (يارا)، و(فريد)، ولكنه لم يتلقَ أية إجابة، سمع صوتًا يأتي من إحدى الغرف المغلقة، التقط المفتاح المعلق، وفتح الباب، وهنا تراجع للخلف مذهولًا، حتى أنه سقط أرضًا، فأمامه داخل الغرفة كانت تجلس الأميرة (سارة) على مقعد خشبي في منتصف الغرفة، تحامل على نفسه، ونهض، وسار نحوها بخطوات متعرجة، ولكنه لم يكد يتحرك عدة خطوات حتى تحطم الباب، ودخل عدد من رجال القوات الخاصة حاملين أسلحتهم، أشار قائدهم نحوه قائلًا:

ـ «لا تتحرك!»

أسرع شخصان نحوه، قيدا حركته، كان آخر ما سمعه هو صوت القائد يتحدث في جهاز الاتصال قائلًا:

ـ «تم العثور على الأميرة، والقبض على الخاطف»

ثم أظلمت الدنيا أمامه.

20

للمرة الأولي في حياته يجرب الجلوس على المقعد الآخر، دارت هذه العبارة في رأس (طارق)، وهو يتطلع إلى غرفة الاستجواب التي يجلس بها داخل الوحدة (بي-6)، لقد مر أكثر من ساعتين دون أن يتحدث معه أحد، يعرف هذا الأسلوب جيدًا؛ فقد جربه كثيرًا مع المجرمين، ولكن اليوم أصبح في موقعهم، لقد أصبح في موقع الفريسة، كان يحاول صرف تفكيره إلى أمور أخرى حتى لا يجن، لا يريد التفكير فيما حدث.

لقد تعرض لأكبر خدعة في حياته، الخدعة الأولى والأخيرة، عندما ينظر إلى الأمر الآن يشعر أن كل شيء ملفق سخيف، كيف لم يرَ هذا؟ كيف سيطر عليه الغباء بهذه الطريقة، خطيبته السابقة التي يعرف جنانها تتصل به، وتقنعه بالتعاون مع نكرومانسر، نكرومانسر؟ أي أحمق يصدق بوجود شيء كهذا؟ نكرومانسر يأكل الجثث ليعرف أسرارهم، كيف اقتنع بهذا، والغريب أنه لم تكلف نفسها إحضار شخص محترف، بل أحضرت أغبي شخص ممكن، لقد كان يجاهد طوال الوقت ليبدو كنكرومانسر، كأنه نفسه غير مقتنع، فطوال الوقت يحكي عن أكل الموتى، ويحكي قصصًا مرعبة يقول أنها حدثت له.

قاده كالغر الساذج ليستخرج الجثث، ويدعه يمزقه، ثم يخرج عليه برسومات حمقاء يخبره أنها للقتلة، لا يمكنه أن ينكر، لقد أحسن الوغد لعب دوره جيدًا، عندما يفكر في الأمر يجد أن (يارا) هي من

كانت تقوده طوال الوقت، كانت تتركه يفكر، ويبدي رأيه حتى يظن أن الأمر أمره، ولكنها كانت تظهر عند النقط المفصلية دائمًا، ومعها الحل لتوجهه إلى حيث تريد، هي من اقترحت أمر الإنترنت العميق، الحديث مع القاتل، تُرى كيف رتبوها؟ ومن هو الشخص الذي كان يتحدث معه؟ وهي أيضًا من قالت أن القاتل يوجد داخل الوحدة (بي-6).

لقد فهم خطتها جيدًا، ولكن بقيت نقطة واحدة، إذًا من هو (الزهرة الحمراء) الحقيقي؟ أم أنه لا يوجد (زهرة حمراء)، وهم من استغلوا اسمه وخطفوا الأميرة؟ يبدو الأمر منطقيًا بهذه الطريقة، ولكن السؤال هو لماذا؟ لماذا تفعل هذا؟ لماذا تغامر بنفسها، وتخطف الأميرة؟ ولماذا كل هذه التفاصيل؟ إذا كانت تسعي لتلفيق جريمة له كان يمكنها فعلها بطريقة أسهل، ولماذا تلفق جريمة له أصلًا؟ هناك الكثير من التفاصيل تبدو غير منطقية، ولكنه سيفكر فيها لاحقًا، عليه الآن أن يهدأ، ويجهز نفسه للاستجواب، يجب أن يقنع الجميع أنه ليس (الزهرة الحمراء)، وليس له علاقة بالأمر.

لم يطل انتظاره، وفتح الباب وداخل مدير الوحدة وإلى جواره محقق آخر، جلسا على مقعدين مقابلين له يتطلعان إليه في صمت، قال المدير:

ـ «لماذا يا (طارق)؟ لماذا فعلتها؟»

قال (طارق):

ـ «أنا لم أفعل شيئًا»

ضرب المدير على سطح المنضدة قائلًا:

ـ «لا داعي للكذب، نحن نعرف كل شيء»

قال (طارق):

ـ «أيًا كان ما تظنون أنكم تعرفونه فهو ملفق، لقد تم تلفيق هذا الأمر لي ويمكنني إثبات هذا، أنا لست (الزهرة الحمراء)، ولم أخطف الأميرة»

ـ «نحن نعرف كل شيء»

قال (طارق):

ـ «أنت مخطئ، أنا لم أخطف الأميرة»

ضرب المدير سطح المنضدة مرة أخرى، قال:

ـ «اللعنة على الأميرة، إنها أقل ما يجب أن تقلق بشأنه، إننا نعرف بتعاونك مع منظمة (بي_واي 3) الإرهابية، وتخطيطكم لاغتيال الرئيس الضيف في زيارته القادمة، إنك متهم بالخيانة العظمى»

تراجع (طارق) للخلف، شعر بقلبه يوشك على القفز من صدره، ما الذي يتحدث عنه هذا الرجل!؟ قال:

ـ «ماذا!؟ مستحيل! ما الذي تتحدث عنه!؟»

ـ «لقد أخبرتك، لقد انكشف كل شيء»

ـ «ما هذا الهراء الذي تتحدث عنه؟ أنا لا أعرف أي شيء عما تقوله»

ـ «لا داعي للعب دور الأحمق، لقد انتهى كل شيء، إن لدينا معلومات مفصلة عما حدث، أعترف لك أنك قد لعبت الأمر بذكاء

شديد، ونجحت في خداعنا، ولكن السيدة (يارا) خطيبتك السابقة هي من كشفت أمرك»

قال (طارق):

ـ «(يارا)!؟»

الآن يفهم لماذا فعلت كل هذا؟ لقد استخدمته كسلم لتعود إلى مجدها السابق، لقد قادته إلى فخها بمنتهى البراعة، قال الرئيس:

ـ «نعم، (يارا). لقد لقد كشفتك كما كشفت القاتل الشبح»

لم يعلق (طارق)، فواصل المدير:

ـ «أنا لست هنا لأحصل على اعترافك، فما لدينا من أدلة لا تقبل الشك، يجعل الأمر منتهيًا، أنا هنا لأسألك لماذا؟ لماذا فعلتها؟ ما الذي يجعل ضابطًا مثلك لديه هذا السجل المشرف ينقلب فجأة ويتعاون مع الشيطان ضد وطنه بهذه الطريقة؟ هل يتعلق الأمر بشيء هددوك به؟ أم بشيء قد أغروك به؟ أم لا هذا ولا ذاك ولكنك كنت تخدع الجميع طوال حياتك السابقة؟»

لم يعلق (طارق)، كان ما زال يحاول جاهدًا ابتلاع المفاجأة التي ألقاها المدير عليه، قال المدير:

ـ «أخبرني لماذا فعلتها؟»

التقط (طارق) نفسًا عميقًا، وجاهد لتهدئة نفسه، إن اللحظات القادمة ستكون حاسمة بالنسبة لحياته كلها، عليه أن يثبت براءته الآن، وإلا سينتهي به الأمر في قعر الجحيم، التقط نفسًا آخر، ثم قال:

ـ «هل يمكنك أن تخبرني بما تظن أنه حدث؟»

ـ «أنت تعرف ماذا حدث»

ـ «أرجوك اعتبره طلبًا أخيرًا من شخص عملت معه يومًا»

ـ «أنا لا أريد أن أتذكر أنني عملت مع خائن»

ـ «اعتبره رجاء أخيرًا من شخص في نهاية حياته»

تطلع إليه المدير للحظات، ثم قال:

ـ «لن تموت؛ فأنت تعرف أنهم قد ألغوا عقوبة الإعدام في المملكة، أتمنى لو أنهم لم يفعلوا، وعلى كلٍ سأشرح لك ما حدث»

صمت لحظات، ثم قال:

ـ «أولًا، فيما يتعلق بكونك (الزهرة الحمراء)، هذا الدور الذي كنت تمارسه منذ سنوات، كنت تمارسه، وأنت تتولى التحقيقات ضدك، مما جعلك دائمًا تسبقنا بخطوة، وكلما وضعنا تصورًا لما يحدث كسرته، كانت هذه هي النقطة الأولى التي استنتجت منها (يارا) أن القاتل داخل الشرطة، لقد قالت لي أنها فكرت، هذا القاتل ليس أذكى من الجميع، هذا القاتل ببساطة يعرف ما سنفعله فيتعمد مخالفته، ولقد قمنا بتفتيش منزلك القديم، وعثرنا بالفعل على بقايا تنتمي لثلاثة من الضحايا، لا أعرف أي شخص مختل يحتفظ بأجزاء من جثث ضحاياه»

فكر (طارق)، لقد خططت (يارا) للأمر جيدًا، لقد جعلته يستخرج الجثث، ثم استخدمتها كدليل ضده، رائع! أكمل المدير:

ـ «أعتقد أنك كنت تقوم بنشاطك كـ(الزهرة الحمراء) بمفردك أولًا، ثم

توقفت لسبب ما، ولكنك عندما تعاونت مع منظمة (بي_واي 3) الإرهابية، وقررتم القيام بعمليتك الكبرى، قمت بخطف الأميرة، وهذا الخطف منحك ما تريد، أولًا لفت أنظار كل أجهزة الدولة نحوه مما أمن لكم التسلل داخل الدولة، والتحرك بسهولة، كما مهد لك الدخول إلى الوحدة (بي_6) حيث توجد المعلومات التي تريدها، وقد قمت بسرقة بعضها بالفعل، وأعترف أن هذا تقصير شديد منا، ولهذا كنت تعارض بشدة خطة الأميرة البديلة؛ لأن هذا يفسد خطتكم، كانت خطتكم تعتمد على إخراجكم أنتم أميرة بديلة، ونظرًا لما يحدث فستلتقي الأميرة مع الرئيس الضيف، وتقوم بقتله، تخيل أن تقتل الأميرة رئيس دولة أخرى؟ سيؤدي هذا إلى حدوث الحرب لا محالة، ولهذا كنتم تريدون السلاح السري، لاستخدامه في الحرب، تريدون أن توسعوا النطاق لأكبر قدر ممكن.

صمت المدير لحظات، ثم أكمل:

ـ «كما قمتَ أنت بإخراج أحد المزورين المحترفين من السجن، ويدعى (فريد) بحجة استخدامه في قضية خاصة، وهو من قام بتزوير أوراق أفراد المنظمة التي تم العثور على بعضها في شقتك، مع عدة وحدات تخزين تحوي بعض المعلومات التي حصلت عليها من الوحدة ومنها معلومات المحللين التي أخذتها ومنها كشفت رجل المخابرات الملكية»

قال (طارق):

ـ «لقد خططت (يارا) لكل شيء!»

لم يسمعه الرئيس، فأكمل:

ـ «لدينا أيضا شهادة الأميرة ضدك؛ فصحيح أنها لم ترك إلا في المرة الأخيرة قبل القبض عليك، ولكنها ميزت صوتك، وأخبرتنا أنه نفس الصوت الذي كان يحدثها، لدينا أيضًا شهادة المحلل الذي قمت بتعذيبه للحصول على معلومات السلاح عندما فشلت في الحصول عليها من الوحدة، وكذلك لدينا شهادة ثلاثة من الإرهابيين أنك كنت تتواصل معهم وتمدهم بالمعلومات، صحيح أنهم أنكروا الجزء الخاص باختطاف الأميرة، والتخطيط لاغتيال الرئيس، ولكنهم اعترفوا بالتدبير لعمليات أخرى»

لقد فعلتها (يارا) بمنتهى البراعة، يتطلب إقناعهم ببراءته وترك كل هذه الأدلة، إقناعهم بالمستحيل، إقناعهم أنه كان ضحية عملية خداع تتضمن نكرومانسر، وقاتل متغير الشكل، سيظنه الجميع يدعي الجنون، ويفعلها للهرب من العقاب، وهذا ما لن يفعله، إذا كان سيسقط فليسقط كـ(طارق) الذي يعرفه الجميع، لن تكون صورته الأخيرة لديهم هي صورة الصارخ المتوسل، لن يمنحهم هذا الرضى، قال المدير:

ـ «باختصار، لدينا القضية الكاملة»

قال (طارق):

ـ «لأنها أجادت إعدادها»

ـ «والآن، هل ستخبرني لماذا فعلتها»

قال (طارق):

ـ «أعرف أنك لا تصدقني، ولكنني لم أفعل شيئًا»

نهض المدير من مقعده قائلًا:

ـ «واصل كذبك كما تريد، ولكن الأمر قد انتهى»

سار المدير مع المحقق نحو باب الغرفة، وقال:

ـ «لديك زيارة قبل نقلك إلى سجن العاصمة»

ـ «من؟»

ـ «السيدة (يارا)»

21

دخلت (يارا) الغرفة، ثم جلست على المقعد أمام (طارق)، غادر حارس الأمن. خيم الصمت لدقائق، حتى قالت (يارا):

ـ «أليس هناك ما تريد أن تسألني عنه؟»

قال (طارق):

ـ «وهل سيصنع الأمر فارقًا؟ لقد أعددت كل شيء بمنتهى الدقة، لقد انتهى كل شيء»

ـ «لقد انتهى بالفعل، ولكن ألا ينتابك الفضول لمعرفة كيف تم الأمر؟»

ـ «أنت ستحكين على كل حال، لهذا أنت هنا، أليس كذلك؟»

ـ «حسنًا، سأخبرك»

قالتها، وصمتت لحظات، ثم قالت:

ـ «لكي تفهم ما حدث سأخبرك بالحكاية من بدايتها، حكاية صحفية شابة طموحة قاتلت كثيرًا لتحصل على نصف فرصة، كنت أبذل كل طاقتي في العمل، وأمنحه كل وقتي، ولكنني دائمًا كنت أقابل صنفين من الناس، المستغلين الذين يسرقون تعبي، ولا يمنحوني أي شيء، والأغبياء الذين لا يفهمون أي شيء، ووسطهم ضاعت حياتي دون تحقيق أي شيء، كما أنني كنت وحيدة للغاية؛ فالمجهود الرهيب الذي كنت أبذله لم يترك وقتًا لحياتي الشخصية، وحتى زملاء العمل كانوا

ينفرون مني لجديتي الشديدة في العمل، تصور أن يكرهك الناس لأنك تقوم بعملك!»

لم يعلق (طارق)، فأكملت:

ـ «جاءت قضية القاتل الشبح كما تعرفها، وتصورت أن كل شيء سيتغير للأفضل، ولكن الحقيقة أنني كنت واهمة؛ فقد أحاطني صنفان جديدان من الناس، الحاقدون الذين يكرهون بلا سبب، والمنافقون الذين يتقربون لأهداف خاصة، صحيح أنني صرت نجمة المجتمع كما يقولون، ودعيت إلى مختلف الأماكن، ولكنهم لم يكونوا يدعون (يارا)، لا أحد يحب (يارا)، هذا ما فهمته فيما بعد، الجميع يريدون مكتشفة القاتل الشبح، هذه يحبها الناس، وتدر عليهم الكثير من الفوائد، ثم ظهرت أنت، أنت كنت مختلفًا»

قال (طارق):

ـ «مختلفًا كيف؟»

ـ «أنت كنت تحب (يارا)، ولا تريد أي شيء مني، لقد جعلني حبك أحب الحياة، وأراها جميلة، وأشعر أن هناك المزيد، لقد عشت معك أجمل الأيام، لن أطيل في هذا الموضوع، فقد أخبرتك بمشاعري كلها سابقًا، ثم حدث الخلاف بيننا، وتركتني، وهنا اكتشفت الحقيقة، أنت لم تكن مختلفًا، أنت مثل البقية، أنت أيضًا تريد (يارا) بشروطك الخاصة، لا تريد (يارا) الحقيقية»

قال (طارق):

ـ «ليس هذا ما حدث، لم أفكر هكذا»

تابعت (يارا) كأنها لم تسمعه:

ـ «حاولت كثيراً أن أعود لسابق عهدي، ولكنني لم أستطع؛ هناك شيء قد انكسر داخلي، ولم أستطع إصلاحه، شعرت أن أفكاري مشوشة دائمًا، كأن هناك شيئًا يمنعني من التفكير بوضوح، دفنت نفسي في العمل أكثر، ولكنني لم أحقق أي شيء، لم أرَ الأمور بنفس الطريقة السابقة، لم أستطع حل أية قضية، وهنا بدأ نجمي يخفت، وبدأ الجميع ينفضون تدريجيًا، في البداية كانت هناك بقايا اهتمام، تجعلهم يختلقون الأعذار على تجاهلي، ثم اختفت الأعذار ثم حل التجاهل التام، واختفى الجميع من حولي، المجتمع الذي قدمني يومًا على أني بطلته الأولى لم يعد يهتم بي، ولا بمشاكلي طرفة عين، رحل المحبون، وبقي الكارهون الذين يعتبرون نجاحي إهانة لهم، لأنه كشف كسلهم، وغباءهم، هؤلاء فقط من بقوا على العهد»

ـ «إنك تحملين الكثير من الكراهية داخلك»

ـ «أنا لا أكره أحدًا، أنا أحكي ما حدث بالضبط؛ لقد تخلى عني الجميع، حتى الأميرة، رمزنا الجميل، التي كانت تحرص على وجودي بجوارها في جميع الحفلات والمناسبات عندما كان نجمي لامعًا، كانت تردد دائمًا، (أرجو أن تعتبريني صديقتك)، تجاهلتني هي الأخرى، وتخلت عني، وفي النهاية هددتني بالسجن لو عاودت الاتصال بها»

صمتت لحظة، ثم أكملت:

ـ «على المستوى المهني أيضًا كان الوضع سيئًا؛ فقد فشل مكتب التحريات خاصتي، ورحل المحققون الجيدون واحدًا تلو الآخر، وبقي لدي فقط الأغبياء الذين لا يجدون مكانًا آخر يقبلهم، جربت

الاستثمار في مشروعات أخرى، ولكنني خسرت؛ فكونك بطلة الدولة لا يمنع البعض من النصب عليك..»

قال (طارق):

ـ «لم أكن أعرف كل هذا»

ـ «الجانب الوحيد في حياتي الذي كان يسير على نحو جيد، هو علاقاتي بالمجرمين، فانبهار القاتل الشبح بي وقيامه بمراسلتي، ودفع عدد من أصدقائه إلى مراسلتي، جعل الكثيرين يقلدونه، وبهذا تكونت لدي شبكة معارف رهيبة مع المجرمين في مختلف أنحاء المملكة، بل وخارجها أيضًا، جمعت بعض هذه القصص في كتاب، ولكنني لم أتمكن من نشره، فأنشأت مدونة صغيرة على الإنترنت أكتب فيها القصص»

لحظات صمت، ثم أكملت:

ـ «لا أعرف كيف مرت السنوات السابقة عليّ، لقد كرهت كل شيء، وفقدت الثقة في كل شيء، وفي النهاية قررت أن لا جدوى من الاستمرار في هذه الحياة البائسة. حاولت، ولكني لم أملك الشجاعة اللازمة لفعلها، كنت أؤجل القرار كل يوم إلى اليوم التالي، ولكنني في النهاية اكتشفت أن الأمر لا علاقة له بالشجاعة، إنني فقط لا أريد أن أرحل وأترك هؤلاء الذين آذوني يتمتعون بالحياة، يجب أن ينالوا عقابهم، وكانت هذه هي اللحظة الفاصلة»

ـ «قررت ساعتها أن تنتقمي مني»

ـ «أحضرت ورقة وقلمًا، وبدأت أكتب قائمة الذين أريد عقابهم، كل شخص أذاني يومًا ما، ظللت أكتب، وأكتب، طالت القائمة كثيرًا، وفي

النهاية اكتشفت أنني أريد عقاب المملكة كلها، جهاز الشرطة، والأميرة، والشعب بأكمله، أريد عقاب الجميع، في تلك اللحظة اكتشفت أنني مجنونة، لا أحد يعاقب دولة كاملة، وقررت أن أنهي الأمر، وأقتل نفسي، ولكن لحظتها حدث الأمر الذي غير كل شيء؛ فقد جاءني زائر غير متوقع، آخر شخص يمكنني تخيله، يمكنك تخمينه، نعم، إنه (الزهرة الحمراء) الحقيقي»

ـ «(الزهرة الحمراء)!؟»

ـ «لم أصدق نفسي، (الزهرة الحمراء) الذي حير الجميع يأتيني بنفسه، ويخبرني كل شيء عنه، أخبرني أنه قد جاءني لأنه يريدني أن أكتب قصته، أخبرني أنه مصاب بسرطان في مرحلة متأخرة، وسيموت قريباً، وهذا هو سبب توقفه، لقد توقف عندما علم بإصابته بالسرطان، حكى لي كل شيء عنه، وعن حياته، وعن ضحاياه، إنه لا يعتبر نفسه قاتلًا، إنه يمنحهم الراحة التي يستحقونها، هؤلاء الناس كانوا يعيشون حيوات صعبة للغاية، يتألمون، يصرخون، وقد كان لديه القدرة على سماع صراخهم، لذلك كان يخطفهم، يحبسهم في منزله، يمنحهم الراحة التامة حتى يتوقف صراخهم، ثم يمنحهم السلام الدائم»

ـ «يا له من شخص عطوف!»

ـ «أول ضحاياه كانت (مفيدة)، امرأة لديها زوج مصاب السرطان، وخمسة أولاد، وتعمل في ثلاث وظائف لترعاهم، كان يسمع صراخها طوال الوقت، كانت جارته، وكان يعطف عليها، لذلك قرر أن يمنحها الراحة الدائمة، وهكذا في بقية الجرائم، أخبرني أن ليس بالضرورة أن يكون الجميع مضغوطين في حياتهم مثلها ليصرخوا، بل هناك أشخاص

تظن أنهم سعداء، ولكنهم أكثر الناس صراخًا، ظل الأمر هكذا حتى فقد قدرته على سماع الصرخات عندما تم تشخيصه بالسرطان»

ـ «جيد أنه سيدفع ثمن ما فعله»

ـ «كانت هذه هي نقطة البداية، بالمعلومات التي حصلت عليها منه، بالإضافة التي المعلومات التي كانت لدي عن منظمة (بي_واي 3) والتي حصلت عليها من بعض المخترقين، بدأت في وضع خطتي التي تتضمن معاقبة الجميع، لأول مرة منذ زمن بعيد أرى الأمور بطريقة واضحة، أرى التفاصيل ترتسم أمامي، اختطاف الأميرة (سارة)، وما يعنيه هذا من مذلة لتلك المدللة الحمقاء، ويمكنك تصور ما سينتج عن هذا الحدث، شكل الشرطة عندما تعجز عن القبض على الفاعل، الحزن الذي سيصيب الشعب على أميرته، الرعب الذي سيصيبه عندما يعرف أنه لم يعد هناك أحد آمن، وأن (الزهرة الحمراء) يمكن أن يصل إلى أي شخص في أي مكان، وعرفت أيضًا أنهم سيكلفونك بالقضية بلا شك لخبرتك السابقة مع (الزهرة الحمراء)، وعلى هذا الأساس وضعت باقي التفاصيل، واستعنت بفريق ممن أثق بهم للتنفيذ، كلفني هذا كل ما أملك، ولكني لم أتردد لحظة واحدة»

ـ «ومن هو (فريد)؟»

ـ «(فريد)؟ إنه أضعف جزء في الخطة كلها، لقد خشيت كثيرًا أن يخطئ فيكشف الأمر، إنه شخص مهووس بالرعب يظن نفسه نكرومانسر، لقد بلغ به الهوس حدًا بعيدًا، أعتقد أنه مصاب بمرض نفسي، فقد صنع لنفسه تاريخًا كنكرومانسر، وأصبح يؤمن بذلك، ويحكي الكثير من القصص عن ذلك، لقد استغرق الأمر جلسة واحدة

معه لأكتشف أنه مجرد مدعٍ، ولكني عرفت أنه يصلح، فقمت بالاتفاق معه على أداء دوره مقابل تهريبه من السجن، وهو الأمر الذي قمت أنت به»

ـ «ومن هو الشخص الذي قمنا باستجوابه أول مرة؟»

ـ «لقد أخبرتك أنني قد وضعت قائمة بكل من أريد معاقبته، وهذا الرجل كان مدرسي وأنا صغيرة، وكان يسيء معاملتي كثيراً، لذلك قررت عقابه بهذه الطريقة»

ـ «يا لك من مجنونة!»

ـ «قل ما تشاء، لقد حصلت على انتقامي»

ـ «ولماذا لم تكتفي بقصة الأميرة؟ لماذا منظمة (بي_واي 3) الإرهابية؟»

ـ «الحقيقة أنني لم أرد أن تكون هذه الخطة شراً محضًا، أردت أن أضع فيها ما يفيد؛ فأنا أحب وطني رغم كل شيء، لذلك جمعت ما أمكنني من معلومات عن المنظمة، قررت أن أوقف عملياتهم، جعلت أحد المخترقين ينتحل هويتك، ويتواصل معهم، زودتهم ببعض المعلومات التي حصلت عليها عن طريقك من الوحدة»

ـ «كيف؟ أنا لم أعطك أية معلومات؟»

ـ «الحقيقة أنك قد أعطيتني، ولكنك لم تعطني برغبتك، هل تذكر جوالي الذي أخذته مني؟ هذا الجوال في الحقيقة هو أداة نادرة لسرقة البيانات من أي جهاز يوضع بجواره، ومجرد دخولك الوحدة منحني هذه الفرصة»

ـ «أمر واحد لم أفهمه، وهو لماذا؟ لماذا كل هذه التفاصيل المعقدة؟»

ـ «الحقيقة أن الهدف من هذه الخطة لم يكن تلفيق جريمة لك، وسجنك؛ فقد كان يمكنني فعلها بطريقة أخرى أسهل؛ لقد كان الهدف هو تحطيمك، تحويلك إلى شخص لا تعرفه، أن أتلاعب بك، وأنتزع منك كل مبادئك، وقدراتك، ومهاراتك المميزة التي افتخرت بها يومًا، أن أجعلك تقر أنك أغبى شخص مشى على هذه الأرض يومًا، أن أقودك عبر أغرب سيناريو ممكن، وأجعلك تصدقه، تصدق بوجود النكرومانسر، والقاتل متغير الشكل، أن أجعلك تشك في كل من حولك، بل أجعلك تشك في نفسك، أن أحول ذكاءك الذي هو نقطة قوتك إلى نقطة ضعفك، أن أنسف....»

ـ «لقد فهمت ما تقصدينه، لم أكن أتصور أنك تكرهينني إلى هذا الحد»

ـ «أنا لا أكرهك، بل يمكنك القول أنني مازلت أحبك»

ـ «إذًا لماذا فعلت كل هذا؟»

صمتت (يارا) للحظات، ثم قالت:

ـ «أنت تعرف لماذا فعلت هذا»

تمت بحمد الله